الشيخ أكرم كساب

علاقة الإسلام بالنصرانية

في

القرآن والسنة وعبر التاريخ

مركز التنوير الإسلامي
للخدمات المعرفية والنشر



الإهداء

إلى العلماء العاملين .

إلى الدعاة المخلصين .

إلى من يهمه أمر المسلمين .

إلى كل منشغل بسفاسف الأمور.

إلى كل مسلم حيّ القلب ، نقيّ الفؤاد .

إلى كل مثير للجدل، ومحب للخلاف .

إلى كل من زعم حب المسيح ﷺ وتطاول على محمد ﷺ.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الكلمات ؛ سائلاً الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّـــهِ فَلْيَعْمَـــلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ الكهف 110 .

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٣٠٦٩

مركز التنوير الإسلامى
للخدمات المعرفية والنشر
١٤٥ ش مصر والسودان - حدائق القبة

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكـن لـه كفواً أحد، واحد لا شريك له، لا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، أول بلا ابتداء، وأخر بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريـد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة [1] ، القائل سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: 14 .

والقائل جلّ ذكره: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ المائدة: 17. والقائل تقدست أسماؤه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ المائدة: 73 . والقائل في الحديث القدسي: " كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلـك، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يُعيدني كما بـدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله : اتخـذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد " [2].

والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وهادينا ومعلمنـا ومخرجنـا مـن الظلمات إلى النور، محمد ﷺ القائل : " خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له " [3].

---

[1] – من كلام الإمام الطحاوي في عقيدته الطحاوية .

[2] – رواه البخاري في بدء الخلق رقم (3193) عن أبي هريرة .

[3] – رواه مالك في الموطأ في كتاب القرآن (608) والترمذي في الـدعوات (3579) وقـال حديث حسن غريب، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (2837) .

أما بعد

فيُخطئ من يتصور : أن العلاقة بين الإسلام والنصرانية كانت دائما علاقة عداء، ويزداد خطؤه إن اعتقد تضاداً بين ما جاء به محمد ﷺ وما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام ، وسنحاول إن شاء الله تعالى توضيح مدى العلاقة بين الإسلام والنصرانية ، ومدى ارتباط عيسى عليه السلام بالمسلمين وعقيدتهم ، كما سنذكر ما أمر الإسلام به في التعامل مع أتباع هذه الديانة ، وسنذكر من التاريخ ما يؤكد صدق ما جاءت به تعاليم الإسلام .

هذا وكنت قد كتبت بحثا مطولا بعنوان" التنصير : مفهومه . جذوره . أهدافه . أنواعه . وسائله . صولاته "[1] ورأيت بعد أن أشار عليّ بعد الإخوة أن أنشر هذا المبحث مستقلا، فاستخرت الله تعالى، وتوكلت عليه، راجيه سبحانه أن يكتب له القبول، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يرزقني سبحانه الإخلاص والتوفيق، والسداد والرشاد.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وهو حسبي ونعم الوكيل، وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله المغفرة من كل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ آل عمران: 8.

أكرم عبد الستار كساب

Akram_kassab@hotmail.com

1 شعبان 1425هـ . 15 سبتمبر 2004م

[1] - والكتاب الآن تحت الطبع إن شاء الله.

أولاً : عيسى عليه السلام في القرآن والسنة

القارئ للقرآن يرى أنه كتاب منصف لكل الأنبياء عليهم السلام ؛ وكيف لا وهو كتاب الله كما أنهم رسل الله ؟ كما أن المتابع لآيات القرآن وسوره يجد الحديث بكثرة عن عيسى عليه السلام في مئات الآيات وعشرات السور .

إن عيسى في القرآن والسنة هو : الرسول ، النبي ، الوجيه ، المبارك ، المؤيد من قبل الله بالكتاب والحكمة والمعجزات والبينات الواضحات ، وروح القدس ، الذي عليه من الله السلام يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً .

وقد كان الحديث عن عيسى في القرآن على هذا النحو :

1ـ ورد اسمه (عيسى) 25 مرة .

2ـ ورد وصفه (المسيح) 11 مرة .

3ـ خلق عيسى عليه السلام معجزة ربانية . قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ آل عمران : 95 .

4ـ عيسى عليه السلام آية من آيات الله . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ المؤمنون :50 .

5ـ عيسى عليه السلام نفخة من روح الله . كما قال تعالى:﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا

وكُتُبِهِ وكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ التحريم: 12 ، وقال سبحانه : ﴿ والَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء :91 .

6ـ عيسى عليه السلام كلمة الله . قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾ النساء : 171 .

7ـ عيسى عليه السلام روح الله . قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾ النساء: 171.

8ـ عيسى عليه السلام ليس له أب . قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ آل عمران : 47 .

9ـ عيسى عليه السلام رسول من رسل الله . قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الأنعام : 85 و قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا

اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء : 157 . و قـال تعـالى: ﴿ مَـا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ المائدة 75 .

10ــ عيسى عليه السلام وجيه في الدنيا والآخرة . قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ آل عمران : 45 .

11ــ عيسى عليه السلام رسول من أولي العزم . قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الأحزاب: 7، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ الشورى : 13 .

12ــ عيسى عليه السلام عبد لله . قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ مريم29، 30 . وقال سبحانه: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ النساء: 172. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) ﴾ المائدة : 72 .

13ــ عيسى عليه السلام عبد مبارك . قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ مريم: 30 ــ 31 .

14ـ عيسى عليه السلام ليس إلهاً . قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ المائدة : 17 ،72 . و قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة :30 .

15ـ عيسى عليه السلام ليس جزءاً من الله . قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إلا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ المائدة 73 .

16ـ عيسى عليه السلام مؤيد من قبل الله . قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ المائدة : 110.

17ـ عيسى عليه السلام يكلم الناس في المهد. قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ مريم 29 ـ 31.

18ـ ولعيسى عليه السلام معجزات أخرى . قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران 49.

19ـ المائدة من أكبر معجزات عيسى عليه السلام . قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115) ﴾ المائدة 112 ــ 115 .

ويمكن إجمال معجزات عيسى ﷺ التي جاءت في القرآن في الآتي:

- الكلام في المهد .
- إبراء الأكمه .
- إبراء الأبرص .
- إحياء الموتى .
- تصوير الطين ، والنفخ فيه ، فيصبح حياً بإذن الله تعالى .
- الإخبار ببعض المغيبات . بحسب ما أطلعه الله عليه .
- نزول المائدة على قومه من السماء .

20ــ عيسى ﷺ لم يُقتل ولم يُصلب . قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء : 157 .

21ــ عيسى ﷺ رُفع إلى السماء . قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ آل عمران: 55 .

22ـ عيسى عليه السلام سينزل قبل الساعة . قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الزخرف : 61 .

وينزل عليه السلام فيحكم بالقرآن ويؤمن بالإسلام ويؤمن به النـصارى تابعاً لمحمد ﷺ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِـهِ قَبْـلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء 159 .

وقد أخبر النبي ﷺ عن نزوله كما في حديث أبي هريرة رضـي الله عنه قال: قال ﷺ : " والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ، ويفـيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا ومـا فيها ". ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ النساء 159.[1]

وفي رواية عن أبي هريرة قال: قـال رسـول الله ﷺ : " ليهـبطن عيسى بن مريم حكما عدلا، وإماما مقسطا، وليـسلكن فجـا، حاجـا أو معتمرا ، وليأتين قبري حتى يسلم، ولأردن عليه ". يقول أبو هريرة: أي بني أخي، إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام .[2]

23 ـ ابن مريم عليه السلام يقتل الدجال : وأخبر رسـول الله ﷺ عـن أعظم أعماله وهو قتل المسيح الدجال : فعن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺقال : " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أم بدابق. فيخرج إليهم جيش من المدينة. من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصادفوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا. والله!

---

[1] – رواه البخاري في أحاديث الأنبياء رقم (3448) عن أبي هريرة.

[2] – رواه الحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهـذه الـسياقة، ووافقه الذهبي (595/2) .

لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم. فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا. ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله. ويفتتح الثلث. لا يفتنون أبدا. فيفتتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون. وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ . فأمهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده. فيريهم دمه في حربته" .[1]

24ـ محمدﷺ أولى الناس بعيسى عليه السلام قالﷺ: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة" قالوا: كيف يا رسول الله قال: "الأنبياء إخوة من علات. وأمهاتهم شتى. ودينهم واحد. فليس بيننا نبي" .[2]

25 ـ محمد ﷺ يتمنى لقاء عيسى عليه السلام ويوصي أتباعه بالسلام عليه ، وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى بن مريم ﷺ ، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام".[3]

وفي رواية قال ﷺ: " من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام". [4]

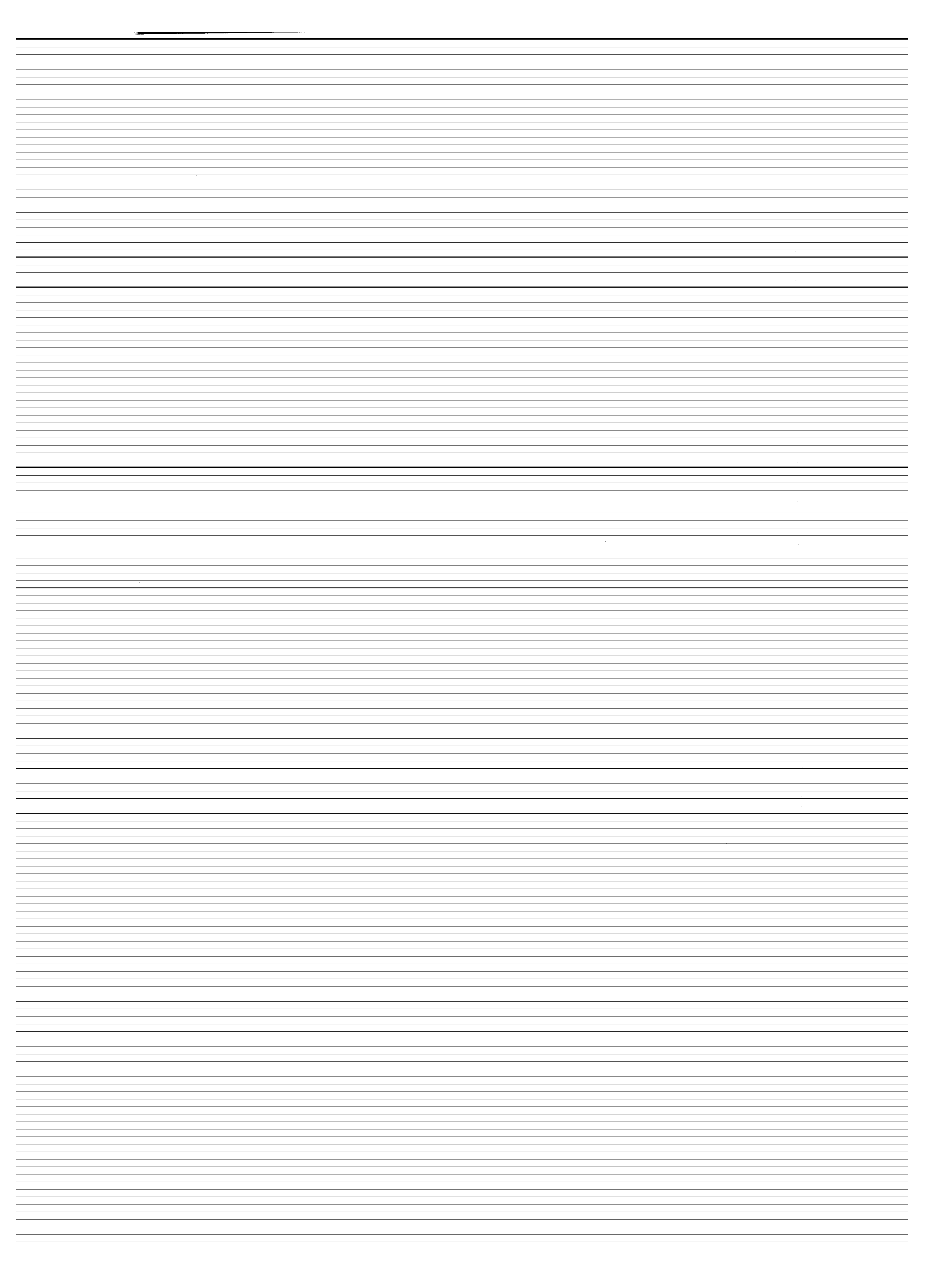
---

[1] – رواه مسلم في الفتن رقم (2897) عن أبي هريرة.

[2] – رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (3443) مسلم في الفضائل رقم (2365) عن أبي هريرة.

[3] – رواه أحمد (7970 ، 7971) عن أبي هريرة وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرطهما، واختلف في وقفه ورفعه. وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً ورجالهما رجال الصحيح (205/8).

[4] – رواه الحاكم (4/ 545) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (2308) .



ثانياً : مريم في القرآن والسنة

وكما أعلى الإسلام من منزلة عيسى عليه السلام، فقد أعلى كذلك من منزلة أمه مريم عليها السلام ، والمتأمل للقرآن الكريم يلحظ الآتي :

1ـ ليس في القرآن سورة باسم امرأة سوى سورة مريم .

2ـ لم يذكر في القرآن اسم امرأة صراحة سوى مريم عليها السلام، لا أمنة أمه، ولا خديجة زوجه ، ولا عائشة حبه ، ولا فاطمة ابنته.

3 ـ ذكرت مريم في القرآن 34 مرة .[1]

4 ـ مريم مكفولة من قبل الله . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران 44 .

5 ـ مريم مصطفاة : مرة لإنجاب عيسى ومرة على نساء العالمين . قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران 42 .

6 ـ مريم عفيفة حصان . قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ التحريم 12 .

[1] – انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ص 664 / ط دار إحياءالتراث العربي .

7 ــ مريم مطهرة من كل عيب . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَــةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَــالَمِينَ ﴾ آل عمران 42 .

8 ــ مريم آية من آيات الله . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّــهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ المؤمنون 50 .

9 ــ مريم من أفضل نساء العالمين . قال ﷺ : " حسبك من نــساء العالمين: مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون " . [1]

وفي رواية أخرى قال ﷺ : " خير نساء العالمين أربع : مريم بنــت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون" [2]

10 ــ مريم من أفضل نساء أهل الجنة : قال ﷺ : " أفضل نــساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون " . [3]

وفي رواية عن ابن عباس: قال ﷺ: "سيدات نساء أهل الجنة : مريم بنت عمران، ثم فاطمة بنت محمد ، ثم خديجة، ثم آسية أمرأة فرعون"[4].

---

[1] – رواه الترمذي في المناقب(3888) . وذكره الألباني في صحيح الترمذي (3053) .

[2] – رواه مسلم في فضائل الصحابة (2430) عن علي .

[3] – رواه احمد عن أبي هريرة (2668) وقال محققو المسند: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى(2722) والحاكم (3 / 185)، و ذكــره الألبــاني فــي السلــسلة الصحيحة (1508) .

[4] – رواه الطبراني في الكبير. والحاكم في المستدرك (3/ 205) ، وقال الحافظ الهيثمي فــي مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو متروك (9/ 223) .

وفـــي روايـــة عـــن أبـــي هريـــرة أن رســـول الله ﷺ قـــال: "بحسبك من نساء العالمين أربع: فاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم".[1]

11 ـــ مريم سيدة كاملة : قال ﷺ : " كمل من الرجال كثيـــر ، ولـــم يكمل من النساء إلا : مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفـــضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " .[2]

12 ـــ مريم لم يمسها الشيطان: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حـــين يولـــد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب ".[3]

وفي رواية : " ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولـــد، فيستهل صارخا من مس الشيطان، غير مريم وابنها " .[4]

وفي رواية : " كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه. إلا مـــريم وابنها".[5]

13 ـــ مريم نذر مقبول . قال تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَـــسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ آل عمران 37 .

---

[1] – رواه الطبراني في الأوسط . وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني فـــي الأوسط، وفيه سليمان الشاذكوني وهو ضعيف (9/ 218).

[2] – متفق عليه . رواه البخاري في الأطعمة (5418) ومسلم في فضائل الصحابة رقم (2431) عن أبي موسى.

[3] – رواه البخاري في بدء الخلق رقم (3286) عن أبي هريرة .

[4] – رواه البخاري في أحاديث الأنبياء رقم (3431) عن أبي هريرة.

[5] – رواه مسلم في الفضائل رقم (2366) عن أبي هريرة.

14 ـــ مريم يأتيها رزقها رغداً في كل وقــت وآن . قــال تعـــالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَــكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْــرِ حِــسَابٍ ﴾ آل عمران 37 .

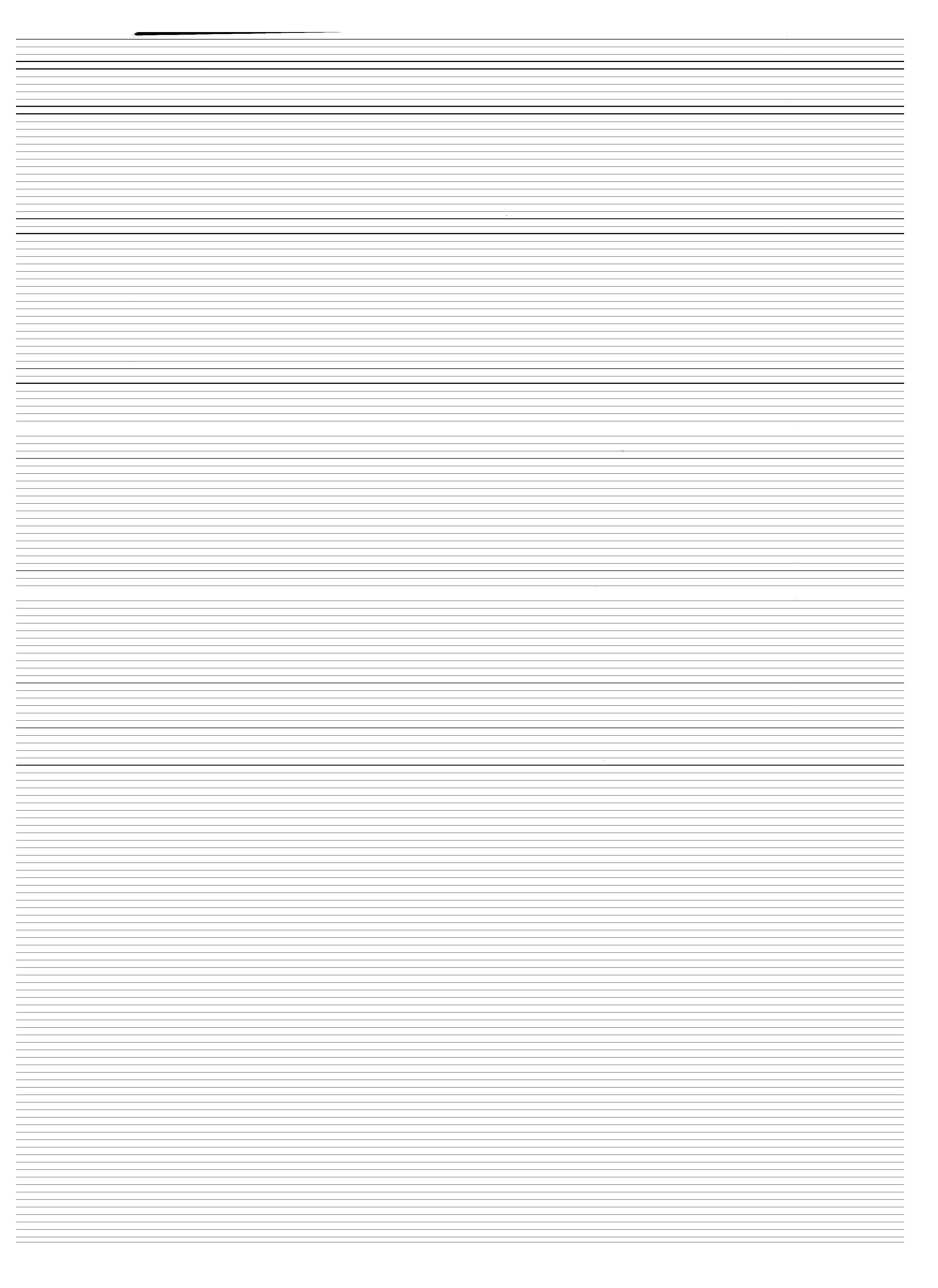
15 ـــ مريم مؤيدة بالمعجزات . قال تعالى : ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُــسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ مريم 24 25.

16 ـــ مريم منعم عليها من قبل الله . قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَــا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُــدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْــرًا بِــإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْــتُ بَنِــي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِــحْرٌ مُبِينٌ ﴾ المائدة 110 .

17 ـــ مريم مصدقة بكلمات ربها وكتبه ، قال تعـــالى : ﴿ وَمَــرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ التحريم 12.

18 ـــ مريم من القانتين ، قال تعالى :﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِــي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ التحريم 12 .

19 ــ ويكفي أن تقرأ هذا المقطع من سورة مريم لتدرك قيمة مريم عندنا ــ نحن المسلمين ــ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَــرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَــلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْــكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّــا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آَيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِــذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَــا مِــنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْــكِ بِجِــذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًــا فَإِمَّــا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّــمَ الْيَــوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَــتْ أُمُّــكِ بَغِيًّــا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًــا أَيْــنَ مَــا كُنْــتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّــا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) ﴾ مــريم 16ــ 34.



ثالثاً : حديث القرآن والسنة عن النصارى

(إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة) كلمة صادقة قالها النجاشي يوم أن تليت عليه آيات من كتاب الله، وهذه هي العلاقة بين الإسلام والنصرانية، وأعني بالنصرانية تلك التي جاءت من عنـــد الله لا التي كتبها القساوسة والرهبان أو تلك التي زيفها الأباطرة وذوي السلطان، وقد جاءت لفظة النصارى (14) مرة ونادى القرآن النصارى مع إخوانهم من اليهود بلفظة جامعة بينهم، وهي أهل الكتاب وقد وردت فـــي القـــرآن الكريم 31 مرة وخصّهم في الوصف بكتاب عيسى ﷺ مرة واحدة حين قال : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ ﴾ المائدة: 47 .[1]

وكان للنصارى وإخوانهم من اليهود أسلوب خاص تميز بـــه القـــرآن الكريم في معاملتهم ؛ ويرجع السبب في ذلك كونهم أهل كتاب ، ولهـــذا أمر القرآن بالحسنى عند مجادلتهم قال تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْـــزِلَ إِلَيْنَـــا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت : 46 .

وقد اعترف القرآن برسالتهم ، وذكرهم بنعم الله عليهم قال تعـــالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُـــوا بِعَهْـــدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَـــا مَعَكُـــمْ وَلَـــا

---

[1] – انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ مرجع سابق.

تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ البقرة : 40 ، 41 .

كما أن القرآن عند حديثه عن أهل الكتاب وفسادهم لم يعمم وإنما أنصف المعتدلين منهم قال تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران : 113 ، 114 .

ولقد حفلت السنة المباركة بالحديث عن النصارى ضمن حديثها عن أهل الكتاب جملة، والقارئ لحديث رسول الله ﷺ يجد جملة رائعة من الأحاديث التي توصي بهم ومن ذلك :

1. قوله ﷺ: " ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه،فأنا حجيجه يوم القيامة"[1] .
2. وقال ﷺ : " من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة "[2].
3. وقال ﷺ : " من قتل معاهداً لم يَرَح ريح الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً "[3].

---

[1] – رواه أبو داود في الخراج والإمارة (3052) وذكره الألباني في صحيح الجامع (2655) .

[2] – ذكره الخطيب البغدادي .وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم (5314) .

[3] – رواه البخاري في الجزية والموادعة رقم (3166)عن عبد الله بن عمرو .

ولقد حفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة للنصارى من الحقوق ما لـم تتوفر لهم عند اختلاف طوائفهم أو تعدد مذاهبهم ؛ ومن هذه الحقوق :

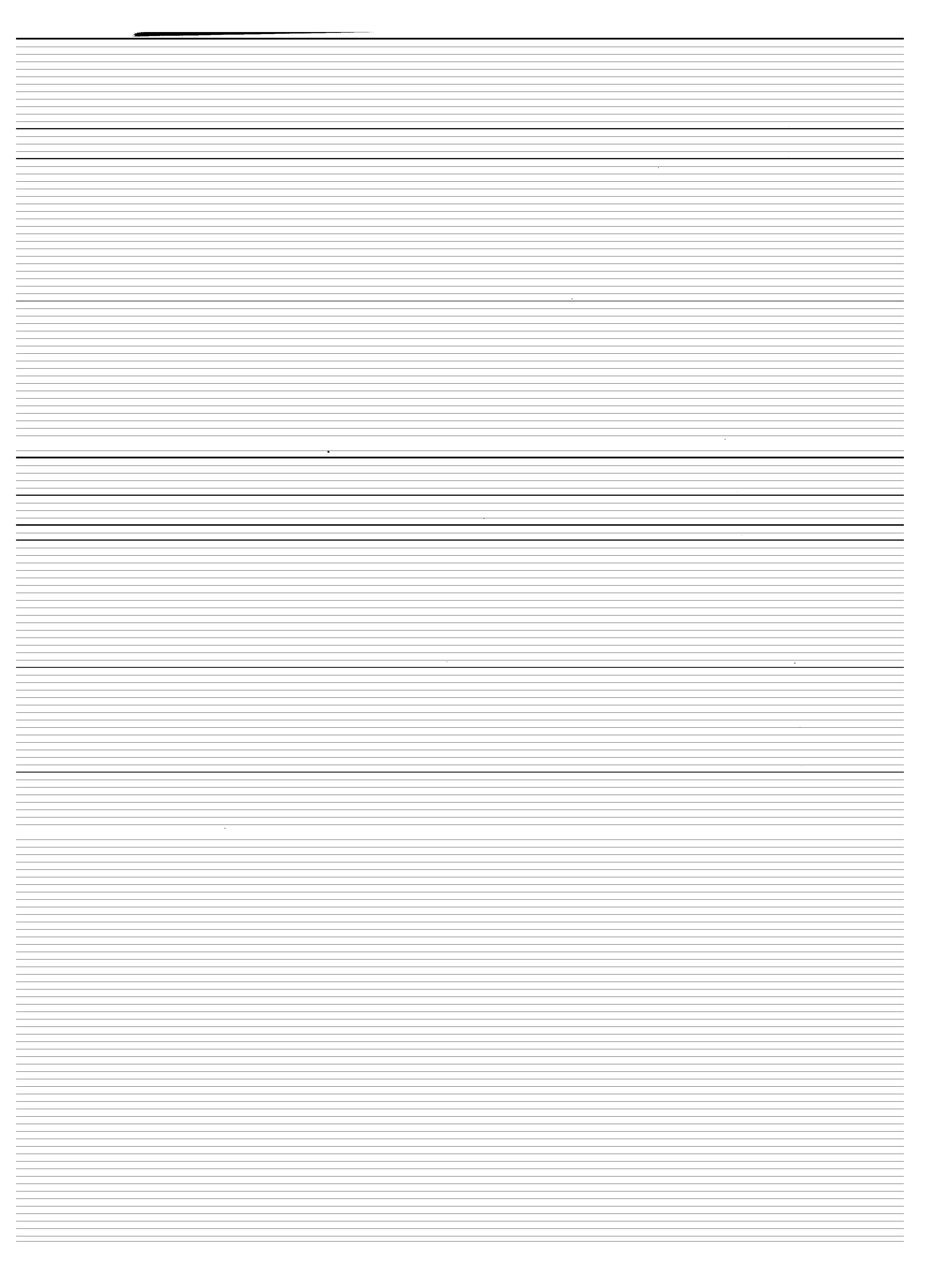
1. **الحماية من الاعتداء الخارجي :** ولعله لا أروع مما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ حين كلم " قطلوشاه " التتري في إطلاق الأسرى فسمح له القائد التتري بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال : لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة ، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له .[1]
2. **الحماية من الظلم الداخلي** وهذه الحماية الداخلية تشمل لهم ما يلي :

- حماية الدماء والأبدان .
- حماية الأعراض .
- حماية الأموال .
- حرية التدين .
- حرية العمل والكسب .
- تولي الوظائف .[2]

---

[1] – انظر: شرح السير الكبير/ طبعة الجامعة/ ج1 ص 108.

[2] – انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي / د : يوسف القرضاوي / ط مؤسسة الرسالة / ط الرابعة 1985 / ص 9 ــ 20 باختصار شديد .



رابعاً : من الأحكام المتعلقة بالنصارى في شريعة الإسلام

وقد كان من سماحة الإسلام مع النصارى ــ وكــذلك اليهــود ــ أن جعل لهم أحكاماً خاصة، حتى وإن اختلفوا معنا في الدين، ومن أهم هــذه الأحكام أذكر الآتي:

1ــ الزواج بالنصرانية ــ وكذلك باليهودية ــ :

لقد شرع الإسلام للمسلم أن ينكح نساء أهل الكتاب ودخل ذلك فــي دائرة المباح قال تعالى :﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّــذِينَ أُوتُــوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْــصِنِينَ غَيْــرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِــي الأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المائدة 5.

قال القرطبي في هذه الآية : واختلف العلماء في تأويل هذه الآيــة ، فقالت طائفة حرم الله نكاح المشركات في سورة البقرة ، ثم نسخ في هذه الجملة نساء أهل الكتاب فأحلهن في سورة المائدة ، وروي هذا القول عن ابن عباس ، وبه قال مالك بن أنس وسفيان بن ســعيد الثــورى وعبــد الرحمن بن عمرو الأوزاعى .

وقال قتادة وسعيد بن جبير : لفظ الآية العمــوم فــي كــل كــافرة ، والمراد بها الخصوص في الكتابيات ، وبينت الخصوص آية المائدة ولم يتناول العموم قط الكتابيات، وهذا أحد قولي الشافعي .[1]

[1] – انظر : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / ط دار الشعب / الطبعة الثانية 1372 هــ / ج3 / ص 66.

وقال ابن كثير : هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان ، ثم إن كان عمومها مرادا وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية ، فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ البقرة: 221، استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب ، وهكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول والحسن والضحاك وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وغيرهم .

ثم قال رحمه الله : وقد نكح طلحة بن عبد الله يهودية ، ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية ، فغضب عمر بن الخطاب غضبا شديدا، حتى هم أن يسطو عليهما ، فقالا : نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب ، فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكني أنتزعهن منكم صغرة قمأة. قال ابن كثير: قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله بعد حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات: وإنما كره عمر ذلك ــ أي نكاح الكتابية ــ لئلا يزهد الناس في المسلمات ، أو لغير ذلك من المعاني.

وروى ابن كثير قال : تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر خل سبيلها . فكتب إليه : أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال : لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن .[1]

[1] – انظر : تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / ط دار الفكر 1401 هـ / ج1 / ص 258 .

وجمهور العلماء على جواز[1] الزواج من النصرانية ــ وكذلك اليهودية ــ وإن كان ابن عمر كان يرى بكراهة ذلك، وقد روي هذا أيضاً ــ أي الكراهة ــ عن الإمام مالك[2]، ورأي الجمهور أقوى حجة ، وأظهر دليلاً . قال السرخسي رحمه الله : ولا بأس أن يتزوج المسلم الحرة، من أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾ المائدة : 5 . [3]

---

[1] – هذا الحكم ليس مطلقا ، وليس معنى ذلك أنه يحق زواج أي كتابية (يهودية أو نصرانية) وإنما يشترط فيها أمران : 1 ــ أن يدفع لها مهرها .

2 ــ أن تكون محصنة أي عفيفة . قال صاحب الظلال : وشرط حل المحصنات الكتابيات , هو شرط حل المحصنات المؤمنات: (إذا آتيتموهن أجورهن محصنين , غير مسافحين , ولا متخذي أخدان). ذلك أن تؤدى المهور , بقصد النكاح الشرعي , الذي يحصن به الرجل امرأته ويصونها , لا أن يكون هذا المال طريقا إلى السفاح أو المخادنة . . والسفاح هو أن تكون المرأة لأي رجل ; والمخادنه أن تكون المرأة لخدين خاص بغير زواج . . وهذا وذلك كانا معروفين في الجاهلية العربية , ومعترفا بهما من المجتمع الجاهلي . قبل أن يطهره الإسلام , ويزكيه, ويرفعه من السفح الهابط إلى القمة السامقة . انظر : في ظلال القرآن / سيد قطب / ط دار الشروق / الطبعة التاسعة 1980 م / ج 2 / ص 848 . وقال الشيخ الغزالي: الحق أننا يجب أن نراجع قضية الزواج بالكتابيات، هل هن كتابيات حقا؟ وإذا كن كما يزعمن فهل هن محصنات حقا؟هل البيئة التي تجعل الاتصال الجنسي حقا مقررا للجسد لا دخل للدين ولا للخلق فيه يمكن أن يوثق بها، وتختار الزوجة من فتياتها؟ انظر: الحق المر/محمد الغزالي /طبعة دار الشروق/ الطبعة الأولى 1989م/ص 36.

[2] – انظر : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام / د : عبد الكريم زيدان / ص 341 / ط الثانية 1976م .

[3] – انظر : المبسوط / السرخسي / ط دار إحياء التراث العربي بيروت/ ط الأولى 2002 م / 5ج / 205.

وقال علاء الدين الكاساني رحمه الله: "ويجوز أن ينكح الكتابية لقوله عز وجل: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ " .[1]

وقال في تنوير الأبصار: "وصح نكاح كتابية"، وقال شارحه في الدر المختار: "وإن كره تنزيها" .[2]

واستدل الجمهور لما ذهبوا إليه من الجواز بالكتاب والأثر والمعقول:

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ كما مضى، ورأوا أن هذه الآية – وهي المائدة – إما مخصصة لعموم قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ البقرة: 221، وإما ناسخة لها، لأن نزول سورة المائدة متأخر عن نزول سورة البقرة، وإما أن لفظ المشركين لا يتناول أهل الكتاب.[3]

وأما الأثر فما ورد في نكاح الصحابة الكتابيات من اليهوديات والنصرانيات، منهم طلحة بن عبيد الله، وحذيفة بن اليمان، وعثمان بن عفان، رضي الله عنهم.[4]

---

[1] – انظر : بدائع الصنائع/ الكاساني/ ط دار الكتاب العربي لبنان/ الطبعة الثانية / ط 1974 م .

[2] – انظر : حاشية رد المحتار/ ط دار إحياء التراث العربي بيروت/ بدون / ج2/ ص289 .

[3] – انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن / ابن جرير/ ط دار الفكر بيروت / ط 1405 هـ / ج 2 / ص 376 ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي / مرجع سابق/ ج 3/ ص 66 ، وانظر: المغني / ابن قدامة/ طبعة هجر/ الطبعة الأولى 1979م / ج 7/ص547 ، ومجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج14/ ص 91. انظر : أحكام أهل الذمة / ابن القيم / مرجع سابق /ج2 / ص 421 / ط دار العلم للملايين / ط الأولى 1961م .

[4] – انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن / ج2/ 376، وانظر : أحكام القرآن / الجصاص / ج 2/ ص 327/ ط دار الكتاب العربي بيروت/ بدون .

الحكمة من إباحة الزواج من الكتابية :

والحكمة من إباحة الزواج من الكتابية بيَّنها الكاساني رحمه الله في " بدائع الصنائع " فقال : يجوز نكاح الكتابية لرجاء إسلامها، لأنها آمنت بكتب الأنبياء والرسل في الجملة، وإنما نقضت الجملة بالتفصيل، بناء على أنها أخبرت عن الأمر على خلاف حقيقته. فالظاهر أنها متى نبهت على حقيقة الأمر تنبهت، وتأتي بالإيمان على التفصيل، على حسب ما كانت أتت به في الجملة، وهذا هو الظاهر من حال التي بُنِيَ أمرها على الدليل دون الهوى والطبع، والزوج يدعوها إلى الإسلام وينبهها على حقيقة الأمر، فكان في نكاح المسلم إياها رجاء إسلامها، فيجوز نكاحها لهذه العاقبة الحميدة، بخلاف المشركة، فإنها في اختيارها الشرك ما ثبت أمرها على الحجة، بل على التقليد بوجود الآباء على ذلك ..." [1]

وقال في حاشية المنهاج للنووي: "وقد يقال باستحباب نكاحها، إذا رجي إسلامها، وقد روي أن عثمان رضي الله عنه، تزوج نصرانية فأسلمت وحسن إسلامها، وقد ذكر القفال أن الحكمة في إباحة الكتابية ما يرجى من ميلها إلى دين زوجها، إذ الغالب على النساء الميل إلى أزواجهن وإيثارهم على الآباء والأمهات، ولهذا حرمت المسلمة على المشرك " [2] .

---

[1] – انظر : بدائع الصنائع / مرجع سابق/ ج2/ ص 270 .

[2] – انظر : المنهاج مع الحاشية / محمد بن أحمد الشربيني الخطيب / طبعة دار الكتب العلمية/ ج 3/ ص 187.

وللشيخ محمد عبده كلام رائع في هذا حيث يقول رحمه الله : لقد أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية ــ نصرانية كانت أو يهودية ــ وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها، والقيام بفروض عبادتها، والذهاب إلى كنيستها أو بيعتها، وهي منه بمنزلة البعض من الكل، وألزم له من الظل ، وصاحبته في العز والذل ، والترحال والحل بهجة قلبه, وريحانة نفسه، وأميرة بيته، وأم بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه .

ولم يفرق الدين في حقوق الزوجية، بين الزوجة المسلمة، والزوجة الكتابية. ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم: 21 . فلها حظها من المودة، ونصيبها من الرحمة، وهي كما هي . وهو يسكن إليها كما تسكن إليه وهو لباس لها كما أنها لباس له .

أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة؟ وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر ؟ وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم وذوي القربى لوالدتهم .

أيغيب عنك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق، ولا فيمن لحق من أهل الدينين السابقين عليه؟ ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يُعوِّد القلوب الشعور بأن الدين معاملة

بين العبد وربه، والعقيدة طور من أطوار القلوب يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب، فهو الذي يحاسب عليها، وأما المخلوق فلا تطول يده إليها، وغاية ما يكون من العارف بالحق: أن ينبه الجاهل، وينصح الغاوي، ويرشد الضال . لا يكفر بذلك نعمة العشير، ولا يسلك به سالك التعسير، ولا يقطع أمل النصير، ولا يخالف سنة الوفاء، ولا يحيد عن شرائع الصدق في الوفاء . [1]

ويقول الشيخ سيد سابق: وإنما أباح الإسلام الزواج منهن ليزيل الحواجز بين أهل الكتاب وبين الإسلام، وهو أسلوب من أساليب التقريب العملي بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، ودعاية للهدى ودين الحق.[2]

وأختم بكلام رائع للأستاذ سيد قطب حيث يقول: إن الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم ــ أهل الكتاب ــ حريتهم الدينية ; ثم يعتزلهم , فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين – أو منبوذين – إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمودة , والمجاملة والخلطة . فيجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلا لهم كذلك . ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة , وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة . . وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم – وهن المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر – طيبات للمسلمين , ويقرن ذكرهن بذكر

---

[1] – انظر : الإسلام والنصرانية مع المدنية والعلم / الشيخ : محمد عبده/ طبعة دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الثالثة 1988 م / ص 88، 90 .

[2] – انظر: فقه السنة / سيد سابق/ ط دار الفكر/ ط 1992م/ ج2 / ص 90.

الحرائر العفيفات من المسلمات . وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل . فإن الكاثوليكي المسيحي ليتحرج من نكاح الأرثوذكسية , أو البروتستانتية ، أو المارونية المسيحية . ولا يقدم على ذلك إلا المتحللون عندهم من العقيدة !

وهكذا يبدو أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي , لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية ; ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة , التي تظلها راية المجتمع الإسلامي . فيما يختص بالعشرة والسلوك (أما الولاء والنصرة فلها حكم آخر) . [1]

من تزوج من الصحابة بالنصرانيات :

ومن الصحابة من أخذ بهذا الحكم وتزوج من النصارى ومنهم: الخليفة الثالث الحيي الكريم ذو النورين عثمان بن عفان، فقد تزوج رضي الله عنه بعد وفاة بنتي رسول الله من نائلة بنت الفرافصة الكلبية. قال ابن كثير : وقد كانت نصرانية وأسلمت بعد زواجها، وكانت نائلة نعم المرأة لزوجها .[2]

كما تزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية. قال ابن القيم في كتابه " أحكام أهل الذمة" : والمقصود أن الله سبحانه أباح لنا المحصنات من أهل الكتاب، وفعله أصحاب نبينا ﷺ فتزوج عثمان نصرانية ، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية ، وتزوج حذيفة يهودية .[3]

---

[1] – انظر : في ظلال القرآن / سيد قطب / مرجع سابق/ ج 2 / ص 848 .

[2] – انظر : البداية والنهاية / ابن كثير / ط مكتبة المعارف بيروت / ج 7/ ص 153.

[3] – انظر: أحكام أهل الذمة/ ابن القيم/ ج2/ ص421/ ط دار العلم للملايين/ ط الأولى1961م.

وقيل إن معاوية رضي الله عنه كانت زوجه ميسون بنت بحدل الكلبية كانت نصرانية، وقد ولدت له يزيد وأمة رب المشارق وماتت صغيرة.

2 ـ النصارى ينفق عليهم من الصدقات :

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز إخراج زكاة الأموال ، قال السرخسي في المبسوط : إن زفر صاحب أبي حنيفة يجيز إعطاء الزكاة للذمي .

وقد رجّح العلامة القرضاوي عدم إعطاء أهل الذمة من الزكاة الواجبة ثم قال : ولكن لا مانع من إعطاء الذمي الفقير من الزكاة ، واشترط الشيخ شرطين وهما :

1. أن يكون في الأموال سعة .
2. وألا يكون في إعطاءه إضرار بفقراء المسلمين .

ثم قال : وحسبنا عموم الآية وفعل عمر ، وأقوال من ذكرنا من الفقهاء . وهذه قمة من التسامح لم يرتفع إليها دين من قبل .[1]

ثم أكد الشيخ القرضاوي: أن من منع الذمي من سهم الفقراء فإنه لم يمنعه من سهم المؤلفة قلوبهم يقول الشيخ : وهذا إذا كان يعطى باسم الفقر والحاجة، أما إذا أعطي تأليفاً لقلبه، وتحبيباً للإسلام إليه، أو ترغيباً له في نصرته، والولاء لأمته ولدولته، فقد رجحنا بالأدلة الناصعة من كتاب الله وسنة رسوله جواز ذلك، وبقاء هذا السهم إلى ما شاء الله، وإن

---

[1] – انظر : فقه الزكاة / د يوسف القرضاوي / ج 2 / ص 752 / طبعة مكتبة وهبة/ ط الحادية والعشرون / ط 1994 م .

كنا اخترنا أن التأليف وإعطاء المؤلفة قلوبهم: إنما هو من شأن الحكومة الإسلامية لا من شأن الأفراد، ويمكن أن تقوم الجمعيات الإسلامية فـــي ذلك مقام الحكومات .[1]

ثم أكد الشيخ على أمر آخر وهو عدم إهمال الذمي حتى يموت جوعاً فقال: ولابد من أن أنبه هنا على أن رأي من قالوا بعدم إعطاء الـــذمي من الزكاة؛ ليس معناه تركه للجوع والعري. كلا. بل يُعان مـــن مـــوارد بيت المال الأخرى، كالفيء وخمس الغنائم والمعادن والخراج وغيرها . وقد ذكر أبو عبيد في " الأموال " كتاب عمر بن عبد العزيز لعامله على البصرة وفيه : (وانظر من قبلك من أهل الذمـــة قـــد كبـــرت سنـــــه، وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجْرِ عليه من بيت مال المـــسلمين ما يصلحـــه ...) ومعنى " فأجْرِ عليه " : اجعل له شيئاً جارياً، وراتبـــاً دورياً، والجميل حقاً أنه لم يدع أهل الذمة حتى يطلبوا هم المعونة؛ بـــل طلب الخليفة من الوالي أن يبادر هو فينظـــر فـــي حـــالاتهم ومطـــالبهم فيسدها من بيت المال . وهذا هو عدل الإسلام .[2]

وأما زكاة الفطر فقد قال أبو حنيفة بجواز إخراجها لفقراء أهل الذمة، وإن خالف الجمهور في ذلك . قال القرضاوي : وسبب اختلافهم : هـــل سبب جوازها هو الفقر فقط؟ أو الفقر والإسلام معاً ؟ فمن قـــال : الفقـــر والإسلام لم يجزها للذميين. ومن قال : الفقر فقط أجازها لهم . واشترط قوم في أهل الذمة الذين تجوز لهم أن يكونوا رهباناً .

---

[1] – انظر : فقه الزكاة / مرجع سابق/ ج2 / ص 753 .

[2] – انظر : فقه الزكاة / مرجع سابق/ ج 2 / ص 753 754 .

روى ابن أبي شيبة عن أبي ميسرة : أنه كان يعطي الرهبان صـــدقة الفطر، وعن عمرو بن ميمون، وعمرو بن شرحبيل، ومرة الهمـــداني : أنهم كانوا يعطون منها الرهبان .

وهي لفتة إنسانية تُنبئ عن روح الإسلام السمح، الذي لا ينهى عن البر بمخالفيه، الذين لم يقاتلوا أهله ويعادوهم، فلا غرو أن تشمل مسرة العيد كل من يعيش في كنف المسلمين، ولو كان من الكفار في نظره . على أن هذا إنما يكون بعد أن يستغني فقراء المسلمين أولاً .[1]

3 ـــ أماكن العبادة تُصان وتُحمى :

ومن أروع ما جاء به الإسلام : حمايته لدور العبادة ، حتى وإن كانت الدور غير المساجد ، كالبيع والصلوات والكنائس ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج : 39 ، 40 .

قال العلامة ابن القيم في كتابه " أحكام أهل الذمة " في تفسيره لهـــذه الآية : قال الحسن: "يدفع عن مصليات أهل الذمة بالمؤمنين ".

وعلى هذا القول لا يحتاج إلى التقدير الذي قدره أصحاب القول الأول ؛ وهذا ظاهر اللفظ ، ولا إشكال فيه بوجه : فإن الآية دلت على الواقع ، لم تدل على كون الأمكنة – غير المساجد – محبوبة مرضيةً له.

---

[1] – انظر : فقه الزكاة / مرجع سابق/ ج 2 / ص1011، 1012 .

لكنه أخبر أنه لولا دفعه الناس بعضهم ببعض لهدمت هـذه الأمكنـة التي كانت محبوبة له قبل الإسلام، وأقر منها ما أقر بعـده وإن كانـت مسخوطة له، كما أقرّ أهل الذمة، وإن كان يبغضهم ويمقـتهم ، ويـدفع عنهم بالمسلمين مع بغضه لهم، وهكذا يدفع عـن مواضـع متعبـداتهم بالمسلمين، وإن كان يبغضها، وهو سبحانه يدفع عن متعبداتهم التي أُقِروا عليها شرعاً وقدراً: فهو يحب الدفع عنها وإن كان يبغضها كمـا يحـب الدفع عن أربابها وإن كان يبغضهم.

وهذا القول هو الراجح إن شاء الله تعالى، وهو مذهب ابن عباس في الآية.

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : عن ابن عباس رضي اللّـه عنهمـا (لهدمت صوامعُ وبيع) قال : الصوامع التي يكون فيها الرهبان ، والبيـع مساجد اليهود والصلوات كنائس النصارى، والمساجد مساجد المسلمين.

قال ابن أبي حاتم : عن أبي العالية قال: " لهدمَتْ صَـوَامع " قـال: صوامع وإن كان يشرك به! وفي لفظ: إن اللّه يحب أن يذكر ولـو مـن كافر ![1]

[1] – انظر: أحكام أهل الذمة / ابن القيم / مرجع سابق/ ج 2 / ص 667، 668 .

خامساً: المسلمون في الحبشة

ولعل هجرة المسلمين إلى الحبشة الأولى والتي كانت في رجب سنة 5 من النبوة [1]، والثانية كذلك. وفيهما كان التقاء الإسلام بالنصرانية لأول مرة، وفيها بدت أخوة الدين ظاهرة، وإن شئت فقل بدت وحدة الدين حيث قال النجاشي :(إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة) .

وجاء في زاد المعاد للإمام ابن القيم :

لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار ، اشتد أذاهم لهم وفتنتهم إياهم ، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة وقال : إن بها ملكاً لا يظلم الناس عنده فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة ، منهم عثمان بن عفان ؛ وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار فبلغهم أن قريشا أسلمت وكان هذا الخبر كذباً فرجعوا إلى مكة ، فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان، رجع منهم من رجع، ودخل جماعة فلقوا من قريش أذى شديداً ، وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود ثم أذن لهم في الهجرة ثانياً إلى الحبشة ، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان فيهم عمار فإنه يشك فيه، ومن النساء ثمان عشرة امرأة، فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال، فبلغ ذلك قريشاً فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة في جماعة، ليكيدوهم عند النجاشي، فرد الله كيدهم في نحورهم [2].

---

[1] – انظر : الرحيق المختوم / الشيخ صفي الرحمن المباركفوري / ط دار الفكر ط الأولى 1991 / ص 81 .

[2] – انظر : زاد المعاد / الإمام ابن القيم / ط الثانية / ط 1997/ ج 1 /ص 95-96.

وذكر في الجزء الثالث ما نصه : فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلدهم إلى النجاشي، ليردهم عليهم، فأبى ذلك عليهم، وشفعوا إليه بعظماء بطارقته فلم يجبهم إلى ما طلبوا، فوشوا إليه أن هؤلاء يقولون في عيسى قولاً عظيماً. يقولون : إنه عبد الله، فاستدعى المهاجرين إلى مجلسه، ومقدمهم جعفر بن أبي طالب فلما أرادوا الدخول عليه قال جعفر : يستأذن عليك حزب الله فقال للآذن : قل له يعيد استئذانه ، فأعاده عليه فلما دخلوا عليه قال : ما تقولون في عيسى ؟ فتلا عليه جعفر صدراً من سورة ﴿ كهيعص ﴾ فأخذ النجاشي عودا من الأرض فقال : ما زاد عيسى على هذا ولا هذا العود، فتناخرت بطارقته عنده ، فقال : وإن نخرتم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي من سبكم غرم والسيوم الآمنون في لسانهم، ثم قال للرسولين : لو أعطيتموني دبرا من ذهب ، يقول : جبلا من ذهب ما أسلمتهم إليكما ، ثم أمر فردت عليهما هداياهما، ورجعا مقبوحين [1].

أما لماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة؟ فيرجع هذا لعدة أسباب منها:

صلاح النجاشي وعدله: حيث قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد"، وقال:"وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه".

كون الأحباش يدينون بالنصرانية، وهي أقرب إلى الإسلام عبدة الأوثان والأصنام.

---

[1] – انظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 / ص 28 .

سادساً: الوفود

ولما توافدت الوفود على رسول الله ﷺ كان هناك وفود نصرانية ، ومن هذه الوفود :

1ـ وفد النجاشي وأهل الحبشة :

قال ابن كثير في تفسيره : قال محمد بن إسحاق في السيرة : قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا عن مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل ابن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم، أو كما قالوا لهم. فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا. قال: وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت؟ قال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم .[1]

[1] – تفسير ابن كثير/ مرجع سابق/ ج3 / ص 395 .

2 ــ وفد نجران : ويعد وفد نجران من الوفود المتعددة التي قدمت على رسول الله ﷺ ، بيد أن القرآن خص هذه الوفود بحديث مفصل في القرآن جاء ذلك في سورة آل عمران . قال الإمام ابن كثير :

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجـران مطولـة جـدا، ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة ، وفيه مناسبة لهذا المقام ؛ قـال البيهقي : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كتـب إلـى أهل نجران قبل أن ينزل عليه (" طس " سليمان) : باسم إلـه إبـراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسـقف نجـران وأهـل نجران : فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أمـا بعـد فـإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب . والسلام .

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فزع به وذعره ذعراً شديداً ، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة وكان من همـدان ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله ؛ لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه فقال الأسقف : يـا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي فـي أمر النبوة رأي، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي واجتهدت لك. فقال له الأسقف : تنح فاجلس فتنحـى شـرحبيل. فبعـث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: عبد الله بن شرحبيل، وهو من

ذي أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه. فقال مثل قول شرحبيل . فقال له الأسقف : تنح فاجلس ، فتنحى عبد الله. فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب، أحد بني الحماس. فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه . فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فأمره الأسقف فتنحى فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس، ورفعت المسوح، أهل الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية، وعشرون ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبار فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم، وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وكانا معرفة لهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتابا فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما أترون أن

نرجع ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم : ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه، ففعلوا. فسلموا عليه فرد سلامهم، ثم قال: والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى ، فإنا نرجع إلى قومنا، ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ : ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى، فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ إلى قوله : ﴿الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: 59 – 61، فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر ؛ أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي في ظهره للملاعن، وله يومئذ عدة نسوة. فقال شرحبيل لصاحبيه: لقد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي ، وإني والله أرى أمرا ثقيلا ، والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكنا أول العرب طعنا في عينيه، ورداً عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة، وإنا لأدنى العرب منهم جواراً، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك، فقال صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : أرى أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططا أبدا. فقالا له : أنت وذاك. قال : فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال له: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك . فقال

: وما هو ؟ فقال : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك، فمهما حكمت فينا فهـو جائز، فقال رسول الله ﷺ : لعل وراءك أحد يثرب عليك فقال شرحبيل : سل صاحبي فسألهما فقالا : ما يـرد الـوادي ولا يـصدر إلا عـن شرحبيل؛ فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتـوه، فكتب لهم هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمـد رسول الله لنجران، إن كان عليهم حكمه في كـل نمـرة وكـل صـفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة ، وذكر تمام الشروط وبقية السياق .[1]

وعقد ابن القيم فصلاً لما في هذه القصة من فقه واستنباطات ومما ذكر:

- جواز دخول أهل الكتاب مساجدَ المسلمين.
- تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مـساجدهم أيضاً، إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك .
- جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلـك، بـل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسـلامه مـنهم، وإقامة الحجة عليهم.[2]

3 ــ وفد عبد القيس :

قال ابن القيم : قال ابن إسحاق: قدم على رسول الله الجارود بـن بشر بن المعلى وكان نصرانيا فجاء رسول الله في وفد عبـد القـيس فقال: يا رسول الله إني على دين وإني تارك ديني لدينك، فتضمن لي

---

[1] – انظر : تفسير القرآن العظيم / مرجع سابق/ /ج 1 / ص 370 .

[2] – انظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 /ص 557 ، 558.

بما فيه؟ قال: نعم. أنا ضامن لذلك، إن الذي أدعوك إليه خير من الذي كنت عليه، فأسلم وأسلم أصحابه ثم قال: يارسول الله احملنا. فقال: والله ما عندي ما أحملكم عليه. فقال: يا رسول الله إن بينا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس أفنتبلغ عليها؟ قال: لا تلك حرق النار.[1] ، وفي الصحيح من حديث ابن عباس : أن وفد عبد القيس قدموا على النبي ﷺ فقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من ربيعة. فقال: مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى .[2]

4 ـ وفد طيىء :

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء، وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ : " ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل: فإنه لم يبلغ كل ما فيه " ثم سماه زيد الخير .[3]

5 ـ قدوم عدي بن حاتم :

قال ابن إسحاق : قال عدي بن حاتم: ما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله ﷺ مني حين سمعت به، وكنت امرءا

---

[1] – انظر : سيرة ابن هشام / ج2 / ص 575 . وانظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 /ص 530 .

[2] – رواه البخاري في الأدب رقم (6176) عن ابن عباس .

[3] – انظر : سيرة ابن هشام / مرجع سابق/ ج2 / ص 578 . وانظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 /ص 538 .

شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير قومي بالمرباع ، وكنت في
نفسي على دين، وكنت ملكا في قومي ، فلما سمعت برسول الله ﷺ
كرهته ، فقلت لغلام عربي كان لي وكان راعيا لإبلي: لا أبا لك اعدد
لي من إبلي أجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني ، فإذا سمعت بجيش
لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذني، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال
: يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإني
قد رأيت رايات فسألت عنها، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال: فقلت:
فقرب إليّ أجمالي. فقربها. فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق
بأهل ديني من النصارى بالشام ، وخلفت بنتا لحاتم في الحاضرة،
فلما قدمت الشام أقمت بها وتحالفني خيل رسول الله ﷺ فتصيب ابنة
حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله في سبايا من طيىء وقد
بلغ رسول الله هربي إلى الشام فمر بها رسول الله ﷺ . فقالت : يا
رسول الله غاب الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة ما بي من
خدمة ، فمُن عليّ منّ الله عليك . قال: من وافدك؟ قالت: عدي بن
حاتم . قال : الذي فر من الله ورسوله. قالت: فمن عليّ. قال: فلما
رجع ورجل إلى جنبه يُرى أنه علي قال: سليه الحملان . قالت:
فسألته فأمر لها به . قال: عدي فأتتني أختي فقالت : لقد فعل فعلة ما
كان أبوك يفعلها، ائته راغبا أو راهبا فقد أتاه فلان فأصاب منه ،
وأتاه فلان فأصاب منه ، قال عدي: فأتيته وهو جالس في المسجد ،
فقال القوم هذا عدي بن حاتم ، وجئت بغير أمان ولا كتاب ، فلما
دفعت إليه أخذ بيدي ، وقد كان قبل ذلك قال:" إني أرجو أن يجعل الله

يده في يدي " قال: فقام لي فلقيته امرأة ومعها صبي فقالا : إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ، ثم أخذ بيدي حتى أتى داره ، فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها ، وجلست بين يديه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:" ما يُفرك؟ أيفرك أن تقول لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله سوى الله. قال: قلت: لا . قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تفر أن يقال: الله أكبر . وهل تعلم شيئا أكبر من الله. قال: قلت: لا. قال: فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون . قال: فقلت: إني حنيف مسلم. قال: فرأيت وجهه ينبسط فرحا. قال ثم أمرني فأنزلت عند رجل من الأنصار.[1]

[1] – انظر : سيرة ابن هشام / مرجع سابق/ ج2 / ص 578-581 . وانظر : زاد المعاد /مرجع سابق/ ج 3 /ص 452-454 .

سابعاً : مكاتبة الملوك والأمراء النصارى كما كاتب غيرهم

وقد كاتب النبي ﷺ عددا من الملوك والأمراء، يدعوهم إلى دين الله سبحانه ، وكان من هؤلاء الملوك والأمراء من يدين بالنصرانية؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وممن كاتبهم النبي ﷺ :

1 ـ النجاشي ملك الحبشة :

كتب ﷺ إلى النجاشي : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة: أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى " .

وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري قال ابن إسحاق: إن عمرا قال له: يا أصحمة إن عليّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحَز وإصابة المَفْصِل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد

فرق النبيﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر. ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبيﷺ :" بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثُفْروقا، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين والثفروق علاقة ما بين النواة والقشر. وتوفي النجاشي سنة تسع وأخبر رسول الله بموته ذلك اليوم فخرج بالناس إلى المصلى فصلى عليه وكبر أربعا .[1]

قال ابن القيم معلقا على ما سبق : وهذا وهم والله أعلم وقد خلط راويه ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه ، وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه ، فهما اثنان وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم أن رسول الله كتب إلى النجاشي وليس بالذي صلى عليه .[2]

---

[1] – انظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 /ص 601-603 .

[2] – انظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 /ص 603 . والحديث عند مسلم في الجهاد رقم (1774) عن أنس.

2 ـــ المقوقس عظيم مصر :

يعد المقوقس عظيم مصر أول قائد نصراني يراسله رسول الله ﷺ بعد النجاشي، وقد سجل التاريخ هذه المراسلة وهاك نص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: 64 ، وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة فلما دخل عليه قال له : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك، فقال: إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه فقال حاطب: ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافي به الله ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى؛ إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن؛ إلا كدعائك أهل التوارة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به. فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء، والإخبار

بالنجوى، وسأنظر وأخذ كتاب النبي فجعله في حق من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جارية له .

ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب إلى رسول الله : لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أن يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك " ولم يزد على هذا ولم يسلم، والجاريتان: مارية، وسيرين، والبغلة: دلدل بقيت إلى زمن معاوية ، وقد قبل النبي ﷺ من المقوقس هديته .[1]

3 ــ هرقل عظيم الروم :

عن أبي سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم، في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف

---

[1] – انظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 / ص 603 ، 604 .

الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم

عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .
أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . آل عمران: 64 . قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام. وكان ابن الناطور، صاحب إيلياء وهرقل، أسقفا على نصارى الشأم، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله

ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ ، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له، ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.[1]

[1] – متفق عليه . رواه البخاري في بدء الوحي رقم (7) ومسلم في الجهاد رقم (1773) عن ابن عباس.

ثامناً : مارية القبطية

تذكر كتب السير : أن النبي ﷺ كان له من السراري اثنتين ، وذكر أبو عبيدة أنهن أربعة :

1. مارية القبطية .
2. ريحانة النضرية أو القرظية .
3. جميلة أصابها في بعض السبي .
4. جارية وهبتها له زينب .

وعلى كل فإن تسري النبي ﷺ بمارية القبطية، أنشأ صلة قوية بين المسلمين والقبط ، فهي في المقام الأول أم لإبراهيم ولد النبي ﷺ ، بيد أن هذا التسري قوّى العلاقة بين المسلمين والنصارى ، فقد كانت السيدة مارية مهداة من المقوقس عظيم مصر ، وهذا ما حدا بالنبي ﷺ أن يقول : " إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما "[1] .

[1] – رواه مسلم في فضائل الصحابة رقم (2543) عن أبي ذر .

تاسعاً : تجاوزات النصارى قبل مؤتة

كان المبدأ الذي تعامل به النبي ﷺ مع النصارى وغيرهم يتمثل في قوله تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة 256 . وكان ﷺ انطلاقا من عالمية الدعوة الإسلامية يراسل الملوك والأمراء ، ومن هؤلاء ملوك وأمراء النصارى، كما ذكرنا من قبل ، وقد بدت من النصارى ملوكا وأفرادا بعض التجاوزات ومن ذلك :

1. **مقتل: فروة بن عمرو:** ذكر ابن كثير: أن فروة بن عمرو بعث إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك:

طرقت سليمى موهنا أصحابي ... والروم بين الباب والقروان

صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكاني

فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولئن بقيت ليعرفن مكاني

ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

قال : وزعم الزهري أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

بلغ سراة المسلمين بأنني ... سلم لربي أعظمي ومقامي

قال : ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه . [1]

---

[1] – انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق/ ج 5 / ص 85 ، 86 ، و انظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 / ص 564.

2. **مقتل الحارث بن عمير الأزدي:** ذكر ابن سعد: أن رسول الله ﷺ قد بعث إلى ملك بصرى الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني – النصراني – فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر فبعث البعوث .[1]

3. **موقف الحارث بن أبي شمر الغساني:** وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أيضا : أن شجاع بن وهب الأسدي أرسله رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتابا ، قال شجاع : فأتيت إليه وهو بغوطة دمشق، وهو مشغول بتهيئة الإنزال والألطاف لقيصر، وهو قادم من حمص إلى إيلياء ، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله إليه . فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه وكان روميا اسمه مرى يسألني عن رسول الله ﷺ ، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله ﷺ وما يدعو إليه ، فيرق حتى يغلبه البكاء، ويقول: إني قد قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه ، فأنا أومن به وأصدقه ، وأخاف من الحارث أن يقتلني ، وخرج الحارث يوما فجلس ووضع التاج على رأسه ، فأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله فقرأه ، ثم رمى به وقال : من ينتزع مني ملكي ؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته ، عليّ بالناس . فلم يزل يفرض حتى قام وأمر بالخيول تنعل ، ثم قال : أخبر صاحبك ما

---

[1] – انظر : الطبقات الكبرى / ابن سعد / ج 2 / طبعة دار صادر بيروت بدون / ص 128 ، وانظر : زاد المعاد/ مرجع سابق/ ج 3 / ص 373 .

ترى ، وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه . فكتب إليه قيصر ألا تسير إليه واله عنه ، ووافني بايلياء ، فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : باد ملكه . فمات الحارث بن أبي شمر عام الفتح .[1]

4. **النصارى يقتلون خمسة عشر صــحابياً** : وذكــر ابــن جريــر الطبري: أن رسول الله ﷺ أرسل في العام الثامن سرية عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات أطلاح ، فخرج عمرو بن كعب الغفاري فــي خمــسة عشر رجلا ، حتى انتهى إلى ذات أطلاح ، فوجد جمعا كثيرا فــدعوهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحاب عمرو جميعا، وتحامل حتى بلغ المدينة . قال الواقدي : وذات أطلاح من ناحية الشام ، وكــانوا مــن قضاعة ورأسهم رجل يقال له سدوس .[2]

---

[1] – انظر : الطبقات الكبرى / مرجع سابق/ ج 1 / ص 261.

[2] – انظر : تاريخ الأمم والملوك / الطبري / ط دار الكتب العلمية بيروت / ط اولألــى 1407 هــ / ج 2 / ص 145 .

عاشراً: غزوة مؤتة

تعد غزوة مؤتة أول لقاء حربي دار بين المسلمين والنصارى ـ وسببها كما ذكرنا من قبل : أن رسول الله ﷺ كان قد بعث إلى ملك بصرى الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني ـ النصراني ـ فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر فبعث البعوث .[1]

يقول الإمام ابن كثير : وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أرض الشام ، قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضية : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال :" إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس" ، فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف[2]، وقد قتل القادة الثلاثة ، وولي خالد بن الوليد الجيش ثم عاد ثانية إلى المدينة .

---

[1] – انظر : الطبقات الكبرى / مرجع سابق/ ج 2 / ص 128 ، وانظر : زاد المعاد / مرجع سابق/ ج 3 / ص 373 .

[2] – انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق/ ج 4 / ص 241.

حادي عشر: غزوة تبوك

وكانت هي اللقاء الثاني بين المسلمين والنصارى ، بيد أن النبـــي ﷺ لم يلق عدواً فعاد إلى المدينة قال ابن كثير : قال ابن إسحاق : ثـــم أقـــام رسول الله بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب — يعني من سنة تسع — ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عسرة مـــن النـــاس ، وشدة الحر ، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار ، فالناس يحبون المقـــام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله قلّ ما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس لبعد المشقة ، وشدة الزمـــان ، وكثـــرة العدو الذي يصمد إليه ؛ ليتأهب الناس لذلك أهبتـــه ، فـــأمرهم بالجهـــاد وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال قوم من المنافقين بعضهم لـــبعض : (لا تنفروا في الحر) زهادة في الجهاد ، وشكا في الحق ، وإرجافا بالرسول ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّـــوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {81} فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ {82} ﴾ التوبة 81 ، 82 .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره ، وأمر النـــاس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في ســـبيل

الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها.

ثم استتب برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير ، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس ، وضرب عبد الله بن أبي عدو الله عسكره أسفل منه وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الريب .

قال ابن إسحاق : ولما انتهى رسول الله إلى تبوك، أتاه يحنة بن رؤبة صاحب إيلة، فصالح رسول الله، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح وأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله كتابا فهو عندهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة لم يجاوزها، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .[1]

[1] – لمعرفة أحداث هذه الغزوة بالتفصيل انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق / ج 4 / ص 375 وما بعدها .

ثاني عشر: المعارك الإسلامية

وقد التقى المسلمون بالنصارى بعد ذلك في الفتوحـــات الإســـلامية ، ومن أهم هذه المعارك [1]:

- **اليرموك .**
- **فتح بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا .**

وكان للقاء المسلمين بالنصارى في هذه المعارك أثر عظيم ، وكان هذا الأثر يظهر من خلال لقاءات بعض النصارى بالمسلمين ، وكذلك عند مصارحة بعض الجنود قادتهم وأمرائهم بأسباب غلبة المسلمين على قلة عددهم ، وتفوقهم مع النصارى على كثرة عددهم وعتادهم، وكان هذا الاحتكاك ينتهي بإسلام الطرف الأخر، أو على الأقل إبداء إعجابه بهذا الدين الجديد، وأذكر هنا بعض هذه المواقف التي تظهر هذا الأثر :

1 ـــ موقف خالد بن الوليد مع جرجة :

خرج جرجة ـــ أحد الأمراء الكبار ـــ حتى كان بين الصفين ونادى ليخرج إلي خالد ، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما ، وقد أمن أحدهما صاحبه ، فقال جرجة : يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ، ولا تخادعني

---

[1] – لمعرفة أحداث هذه المعارك بالتفصيل انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق / ج 7 / ص 11 وما بعدها .

فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟ قال : لا . قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال : إن الله عز وجل بعث فينا نبيه فدعانا، فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذّبه ، فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ؛ فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين . قال : صدقتني . ثم أعاد عليه جرجة : يا خالد أخبرني إلام تدعوني ؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عنـــد الله . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فإن لم يعطها ؟ قال: نؤذنه بحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا . ثم أعاد عليه جرجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ قال : إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ، ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ؛ وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحُجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية ؛ كان أفضل منا . قال جرجة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني ؟ قال : بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة ، وإن الله

لولي ما سألت عنه . فقال : صدقتني ، وقلب الترس ومال مع خالد ، وقال : علمني الإسلام . فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين ، وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد، وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة والحارث بن هشام ، وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس فثابوا، وتراجعت الروم إلى مواقفهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف ، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ، ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما .[1]

2 ــ موقف هرقل مع واحد من أتباعه :

جاء في كتاب " كتاب الفتوح " : لما نصر الله المسلمين بفحل ، وقدم المنهزمون من الروم على هرقل بأنطاكية ، دعا رجالا منهم فأدخلهم عليه . فقال : حدثوني ويحكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم: أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أو هم ؟ قالوا : بل نحن . قال : فما بالكم ؟ فسكتوا . فقام شيخ منهم وقال : أنا أخبرك: إنهم إذا حملوا صبروا ولم يكذبوا ، وإذا حملنا لم نصبر ونكذب ، وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويرون أن قتلاهم في الجنة وأحياءهم فائزون بالغنيمة والأجر . فقال : يا شيخ لقد صدقتني.[2]

---

[1] – انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق / ج 7 / ص 12وما بعدها ، وانظر : تاريخ الطبري / مرجع سابق/ ج 2 /ص 337 وما بعدها .

[2] – انظر : معجم البلدان / ياقوت الحموي / ط دار الفكر بيروت / ج 3/ ص 280 .

3 ـ عمرو بن العاص (أرطبون العرب) وأرطبون الروم :

كان عمر بن الخطاب ﷺ عند توليته عمرو بن العاص يقــول : والله لأرمين أرطبون الروم بأرطبون العرب ، ولما أتى أرطبون إيلياء أفــرج له المسلمون حتى دخلها، ثم أزالهم إلى أجنادين فانضم علقمة ومــسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين ، وكتب أرطبــون إلــى عمرو بأنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قــومي ، والله لا تفتتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين، فارجع ولا تغر فتلقى ما لقي الــذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فأرسله إلى أرطبون وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرنــي بــه إذا رجعت إن شاء الله، وكتب إليه : جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي فــي قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي ، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، وأستعدي عليك فلانا وفلانا وفلانا لوزرائه فــأقرئهم كتــابي ولينظروا فيما بيني وبينك ، فخرج الرسول على ما أمره به حتــى أتــى أرطبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر ، فاقترأه فــضحكوا وتعجبــوا، وأقبلوا على أرطبون فقالوا : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟ قــال : صاحبها رجل اسمــه عمــر ثلاثة أحرف . فرجــع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر ، وكتب إلى عمــر يســتمده، ويقول : إني أعالج حربــا كؤودا صدوما ، وبلادا ادخرت لك فرأيك ، فخرج إليه عمر .[1]

---

[1] – انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق / ج 7 / ص 55 وما بعــدها ، وانظــر : تــاريخ الطبري / مرجع سابق/ج2 /ص 448 وما بعدها .

4 ــ عبادة بن الصامت عند المقوقس :

لما حاصر المسلمون بابليون وكان به جماعة من الروم وأكابر القـــبط ورؤسائهم، وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا ، فأرسل المقوقس إلى عمرو : إنكم قد ولجتم في بلادنا، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم، ومعهم مـــن العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى في أيـــدينا ، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننـــا وبينكم على ما تحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن يغـــشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كـــان الأمر مخالفا لمطلبكم ورجائكم ، فابعثوا إلينا رجالا من أصحابكم، نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء ، فلما أتت عمرا رسل المقـــوقس حبسهم عنده يومين وليلتين، حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أن يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم؟ وإنما أراد عمرو بذلك أنهم يروا حال المسلمين. فرد عليهم عمرو مع رسلهم: إنـــه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن دخلتم في الإسلام فكنـــتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم فـــأعطيتم الجزيـــة عـــن يـــد وأنـــتم صاغرون، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبيـــنكم وهو خير الحاكمين .

فلما جاءته رسل المقوقس قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينـــا قومـــا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم مـــن الرفعـــة؛

ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم ، فقال عند ذلك المقوقس: والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم، فرد إليهم المقوقس رسله يقول : لهم ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم : عبادة بن الصامت ــ وكان طوله عشرة أشبار ــ وأمّره عمرو أن يكون متكلم القوم ، وألا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال ، فإن أمير المؤمنين قد تقدم إليّ في ذلك ، وأمرني ألا أقبل شيئا إلا خصلة من هذه الثلاث الخصال ، وكان عبادة أسودا ، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه، تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال : نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني . فقالوا جميعا : إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله . فقال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟ قالوا : كلا إنه وإن كان أسودا كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا وأفضلنا سابقة وعقلا ورأيا ، وليس ينكر السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود وكلمني برفــق، فــإنني أهــاب سوادك ، وإن اشتد كلامك علي ازددت لك هيبة. فتقدم إليه عبادة فقال: قد سمعت مقالتك وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشــد سوادا مني، وأفظع منظرا، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني، وأنا قد ولّيت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لــو استقبلوني جميعا، وكذلك أصحابي، وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فــي سبيل الله، واتباع رضوانه، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا، ولا حاجة للاستكثار منها، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلــك لنــا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا، وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب، أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بهــا جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ، وإن كان أحدنا لا يملــك إلا ذلــك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى واقتصر على هذه بيده ، ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءهــا ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة ، وبذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا: إلا مــا يمــسك جوعتــه ويستر عورته ، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره ، إن هــذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض وما أظن ملكهم إلا سيغلب علــى الأرض كلها ، ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقــال : أيهــا الرجل الصالح قد سمعت مقالتك، وما ذكرت عنــك وعــن أصــحابك ، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على مــن ظهــرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم

ما لا يُحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لم تقووا عليهم ولن تطيقوهم لـضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا، وأنتم في ضيق وشدة من معاشـكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينـارين دينـارين ، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلـى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به .

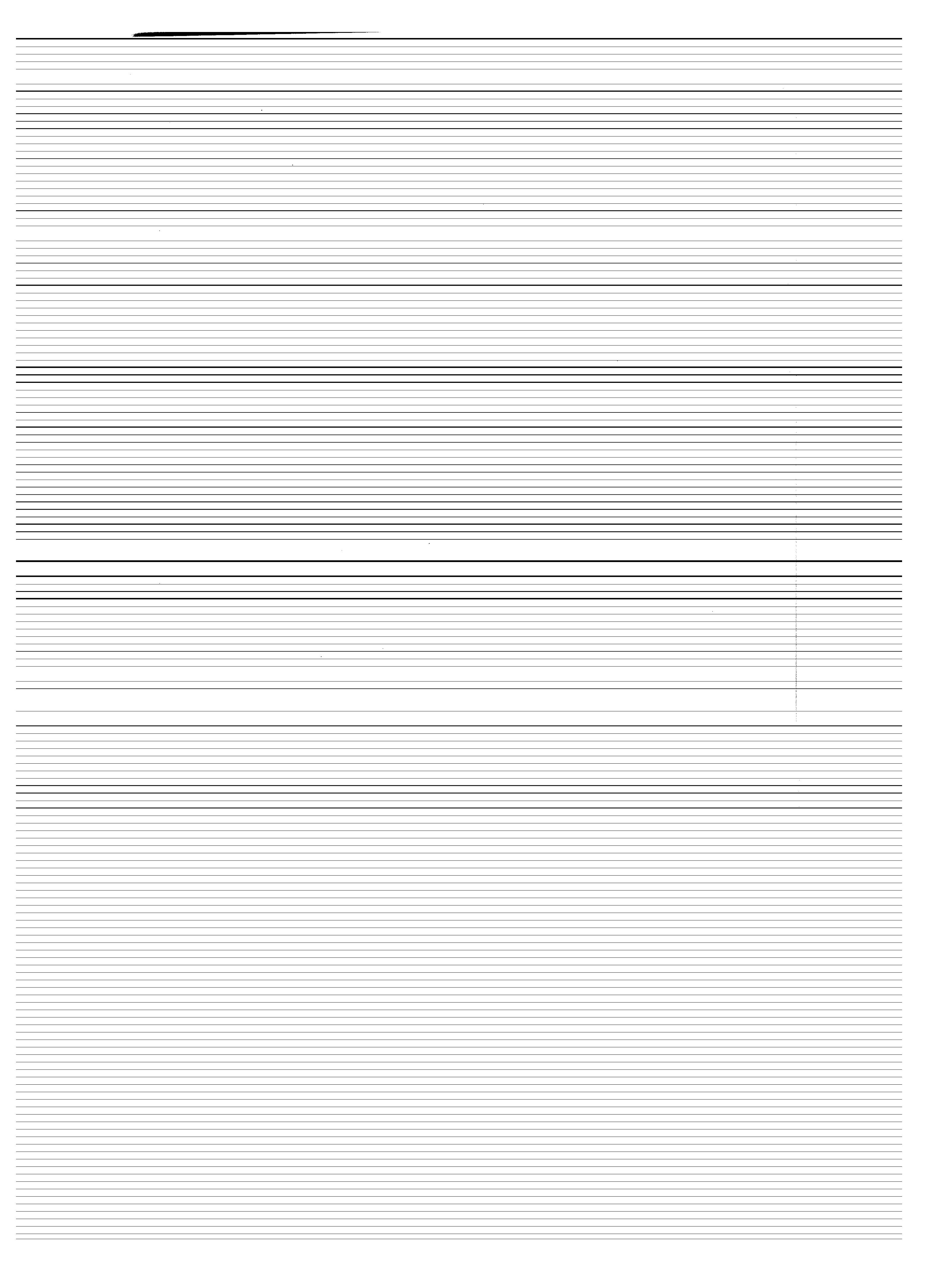
فقال عبادة : يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم ؛ فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقـا فـذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه ، وإن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضـوانه وجنته ، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنـا مـنكم حينئذ على إحدى الحسنيين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينـا بعـد الاجتهاد منا ، وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَـةٍ قَلِيلَـةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة : 249 . وما منـا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وألا يرده إلـى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفـه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا .[1]

[1] – انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي / ج 1 / ص 10 – 16/ طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة .

5ـ العهدة العمرية :

ومن أعظم الشواهد التاريخية على ما كان من لقاء المسلمين مع النصارى، والحفاظ على ما لهم: ما يعرف بالعهدة العمرية؛ والتي تصالح عليها عمر بن الخطاب ﷺ مع أهل إيلياء ، وهذا نص العهدة العمرية : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت — أي الصوص ــ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم؛ فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان؛ فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين؛ إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان؛ وكتب وحضر سنة خمس عشرة .[1]

[1] – انظر : تاريخ الطبري / مرجع سابق/ ج 2 /ص 449 وما بعدها .



ثالث عشر: النصارى في الحكم الإسلامي

لم تكن التعاليم التي جاء بها الإسلام في معاملة النصارى من أكل طعامهم، ومناكحة نسائهم، والإحسان في مجادلتهم، وحسن معاملتهم، لم يكن هذا كله مجرد أقوال يتغنى بها المسلمون، إنما كانت هذه الأقوال واقعة في دائرة التنفيذ، وداخلة في حيز التطبيق .

فهذا عمر ﷺ يسأل القادمين عليه من الأقاليم عن أهل الذمة [1] فيقولون: ما نعلم إلا وفاء .

وهذا علي بن أبي طالب ﷺ يقول : إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا .

ويكتب علي ﷺ لبعض ولاته فيقول : إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاءً ولا صيفاً، ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم، ولا تقمه على رجله في درهم.

وقد روى أبو يوسف في الخراج: أن أبا عبيدة ﷺ لما انسحب من حمص بعد أن فرض عليها الجزية إلى اليرموك بكى النصارى في حمص وقالوا : يا معشر المسلمين ! أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا

---

[1] – كلمة الذمة : تعني الضمان والعهد والأمان وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة من المسلمين فهذه الذمة تعطى لغير المسلمين ما يشبه في عصرنا هذا بالجنسية وهذا ما عبر عنه الشهيد عبد القادر عودة والدكتور عبد الكريم زيدان بأنهم " حاملو الجنسية الإسلامية " . انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي/ ص 7 / مرجع سابق .

على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم – أي الروم – غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا.

وجاء في فتوح البلدان للبلاذري : أن الأوزاعي كتب إلى صالح بن علي بن عبد الله العباسي لما قتل مقاتلة لبنان، وأجلى بعضهم لما خرجوا على الخليفة : وقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ، ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ؟ وحكم الله تعالى : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ النجم: 31 ، وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال : " من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه " [1].

ويكتب عمر ﷺ لأبي عبيدة ﷺ: امنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحلها. ويكتب في عهده لأهل إيلياء – القدس – : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين لأهل إيلياء من الأمان :

1. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم .
2. أعطاهم أماناً لكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتها .
3. لا تسكن كنائسهم ولا شيء من أموالهم .
4. لا يكرهون على دينهم .
5. لا يضار أحد منهم .

[1] – رواه أبو داود في الخراج والإمارة (3052) ، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (2655).

ويعد الفاروق عمر ﷺ من أعظم خلفاء الإسلام تأدية لحقـوق أهـل الكتاب بمن فيهم النصارى، فقد روى أبو يوسف في كتاب الخـراج : أن عمر مر على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام. فقال : ما شأن هؤلاء ؟ فقيل له : إنهم أقيموا في الجزية[1] ! فكره ذلك. وقال : هـم وما يتعذرون به قالوا : يقولون : لا نجد فقال : دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، ثم أمر بهم فخلى سبيلهم .

ولعل قصة القبطي مع ابن عمرو بن العاص ﷺ من أروع ما قـصه التاريخ على أذهان البشر ، يقول الشهيد سيد قطب : وحادثة ابن القبطـي الذي سابق ابن عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها فضربه ابن عمـرو، فشكا أبوه إلى عمر بن الخطاب، فأقصه منه في موسم الحج وعلى مـلأ من الناس ... حادثة معروفة .

وقد اعتاد الكتاب أن يقفوا فيها عند عدل عمـر .... ولكـن الحادثـة أوسع دلالة على ذلك التيار التحرري الذي أطلقه الإسلام فـي ضـمائر الناس وفي حياتهم .

فمصر إذ ذاك بلد مفتوح . حديث عهد بالفتح والإسلام . وهذا القبطي قبطي لم يزل على دينه، فرداً من جماهير البلد المفتـوح وعمـرو بـن العاص هو فاتح هذه الأقاليم وأول أمير عليه من قبل الإسلام، وحكام هذا

---

[1] – الجزية : هي المال المقدر المأخوذ من الذمي فهي ضريبة على الرؤوس يلتـزم الـذمي بأدائها إلى الدولة الإسلامية في معادها المعين متى توافرت شروط وجوبها ولم يوجد ما يسقطها . انظر : أحكام الذميين والمستأمنين / مرجع سابق/ ص 138 .

الإقليم قبل الفتح الإسلامي هم الرومان : أصحاب السياط التي تجلد ظهور شعوب المستعمرات ، ولعل ذلك القبطي كان ما يزال ظهره يحمل آثار سياط الرومان !

ولكن المد التحرري الذي أطلقه الإسلام في أنحاء الأرض، أنسى ذلك القبطي سياط الرومان وذلها، وأطلقه إنساناً حراً كريماً، يغضب لأن يضرب ابن الأمير ابنه بعد اشتراكهما في سباق وهذه أخرى، ثم تحمله هذه الغضبة لكرامة ابنه الجريحة على أن يركب من مصر إلى المدينة، لا طيارة ولا سيارة ولا باخرة ولا قطاراً، ولكن جملاً يخب به الأشهر الطوال كل ذلك ليشكو إلى الخليفة، الخليفة الذي حرره يوم فتح بلده تحت راية الإسلام والذي علمه الكرامة بعد أن نسيها تحت وقع سياط الرومان[1]

ويذكر التاريخ لنا أيضاً صدق عمرﷺ في المعاملة ورفقه بالنصارى وأشباههم،فقد قدم أحد عمال ابن الخطاب عليه بأموال الجزية، فوجدها كثيرة فقال لعامله : إني لأظنكم قد أهلكتم الناس ؟ فقال : لا والله ما أخذنا إلا عفواً وصفواً فقال عمر ﷺ: بلا سوط ولا نوط ؟ فقال : نعم ، فقال عمر ﷺ: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني .

ولما أصيب عمر بضربة أبي لؤلؤة المجوسي فلم يمنعه ذلك أن يوصي الخليفة من بعده ـ كائنا من كان ـ وهو على فراش الموت فيقول: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفى بعهدهم، وأن يقاتل مَن ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم[2].

---

[1] – انظر : هذا الدين / سيد قطب / ط دار الشروق 1978م / ص82 .

[2] – رواه البخاري في الجنائز (1392) .

إن الجزية إنما قامت مقام العمل العسكري للمسلم في وطنه، وحماية لأهل الكتاب، فإن لم يكن من المسلمين حماية ردت على النصارى وأشباههم جزيتهم وأموالهم، وهذا ما كان من أبي عبيدة ﷺ حين علم بتجمع جحافل الروم؛ فأمر نوابه برد الجزية. روى أبو يوسف في الخراج أن أبا عبيدة قال : إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشروط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم.

وهذا عمرو بن العاص ﷺ يكتب لأهل مصر معاهدة فينص فيها على ما يلي : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على : أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ....[1]

وهذا خالد بن الوليد حين دخل دمشق كتب كتابا لأهلها جاء فيه: أن قد أمنتهم على دمائهم وأموالهم وكنائسهم.[2]

ويروي لنا الإمام مسلم في صحيحه أن هشام بن حكيم بن حزام مرّ على أناس من الأنباط بالشام. قد أقيموا في الشمس. فقال : ما شأنهم ؟ قالوا : حبسوا في الجزية. فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ

---

1 – انظر : تاريخ الطبري / مرجع سابق/ ج 2 / ص 513 ، 514 .

2 – انظر: الأموال/حميد بن زنجويه/ تحقيق: د: شاكر ذيب فياض/ج2 /ص 473/ ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات/ ط الأولى 1986م، و انظر: الأموال/أبي عبيد القاسم بن سلام/ تحقيق: د: محمد عمارة/ ص 295/ ط دار الشروق/ ط الأولى 1989م.

يقول : " إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا". وزاد في حديث جرير : قال : وأميرهم يومئذ عمير بن سعد على فلسطين فدخل عليه فحدثه. فأمر بهم فخلوا .[1]

وهذا الحارث بن أبي ربيعة لما ماتت أمه ــ وكانت نصرانية ــ شيّعها أصحاب رسول الله ﷺ [2].

وهذا عمر بن عبد العزيز يعهد إلى بعض عماله فيقول له : عليك بتقوى الله في كل حال ينزل بك ، فإن تقوى الله أفضل العدة ، وأبلغ المكيدة ، وأقوى القوة .....إلى أن يقول : ونح منزلك عن قرى أهل الصلح والذمة ، ولا يدخلها أحد من أصحابك لسوقهم وحاجتهم إلا من تثق به وتأمنه على نفسه ودينه ، فلا يصيبوا فيها ظلما ولا يتزودوا منها إثما ، ولا يرزؤون أحدا من أهلها شيئا إلا بحق ؛ فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها. [3]

ولله در عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فإنه كتب إلى حيان عامله على مصر ، فكتب إليه حيان : أما بعد يا أمير المؤمنين فإنه إن دام هذا الأمر في مصر أسلمت الذمة ، وبطل ما يؤخذ منهم . فأرسل إليه رسولاً وقال له : اضرب حيان على رأسه ثلاثين سوطا أدبا على قوله ، وقل له : من دخل في دين الإسلام فضع عنه الجزية ، فوددت لو أسلموا كلهم فإن الله بعث محمدا ﷺ داعيا لا جابيا .[4]

---

[1] – رواه مسلم في البر والصلة رقم (2613) عن هشام بن حكيم.

[2] – انظر: المحلى / ابن حزم / ج 5/ ص 117 / ط دار الآفاق الجديدة بيروت/ بدون.

[3] – انظر حلية الأولياء/ أبو نعيم/ ج 5 /ص 303 ، 304/ ط دار الكتاب العربي بيروت/ ط الرابعة 1405 هـ.

[4] – انظر : أحكام أهل الذمة / ج 1 / ص 213 /ط دار العلم للملايين / ط الأولى 1961م ..

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على العهد الأول فقط بل يذكر لنا التاريخ موقفاً لأحمد بن طولون وهو: أن ابن طولون أرسل أحد قـواده ليجمـع الخراج[1] فاغتصب القائد من راهب خمسمائة دينار إذ قيـل : إن هـذا الراهب يملك كنزاً . فبكى الراهب وحزن فأشير عليه بأن يـذهب إلـى الفسطاط ويكتب قصته ويقدمها لابن طولون فإنه " أمير عادل منصف " ففعل الراهب ذلك . فرآه حاجب ابن طولون وكان الحاجب صديقاً للقائد الظالم . فسأل الحاجب الراهب عن حاجته فقص عليه القـصة فخـشى الحاجب من تأديب ابن طولون لصاحبه، فدفع للراهب خمـسمائة دينـار بدلاً عن القائد واسترضاه فرضي وعاد إلى بلده .

وعلم بالحادثة بعض الناس فأبلغوها إلى ابن طولون ، فأحضر القائد والحاجب والراهب ، ثم قال للراهب : كان سبيلك ــ ويلك ــ أن تدعي عليه ــ أي على القائد ــ بثلاثة آلاف دينار فآخذها لك منه وأجعل ذلك تأديباً له ولغيره . ثم قال الحاجب : والله إنها مكرمـة سـارعت إليهـا وجميل رغبت فيه وقد قال الله عز وجل : ﴿ هَلْ جَـزَاء الإِحْـسَانِ إِلا الإِحْسَانُ ﴾ الرحمن: 60 . قال ابن طولون: احذر أن تعاود مثلهـا، ولا تستبدن بأمر تأتيه دون أن تعرفنا به. فقال الحاجب : أقلني أيها الأميـر أقالك الله فوالله لا أعود لمثلها أبداً . قال : فانصرف إلى موضعك ! ثـم التفت ابن طولون إلى القائد وقال له : أفي رزقك تقصير عن مئونتـك ؟ قال : لا . قال : فأخر عنك استحقاقك يضطرك إلى ما أتيته ؟ قال : لا .

---

[1] – هو ضريبة مالية على الأراضي وهذه تسمى الأراضي الخراجية . انظر : أحكام الـذميين والمستأمنين / ص 158 .

قال : فبأي حال استحللت أن تأخذ من هذا البائس الضعيف ما تقطع بـــه قلبه . وتبكي عينه وتفرقه وأهله ؟ ألك حاجة أوجبت ذلـــك عليـــك أو ضرورة دعتك إليه ؟ ..... المطبق [1] ! وأمر بسجنه! وهكذا حبس القائد الكبير في قبطي مظلوم ! [2].

[1] – المطبق : اسم لسجن ابن طولون .

[2] – انظر : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام / الشيخ محمـــد الغزالـــي / ط : دار البيان الكويت ص 202وما بعدها .

رابع عشر: النصارى في بلاط الخلفاء

أدرك النصارى كما أدرك غيرهم خلق التسامح الذي عرف به الإسلام، وقد كان هذا الأمر حافزاً للنصارى ولغيرهم ليتقلدوا زمام الأمور في كثير من الأوقات، حتى أنه وصل بهم الأمر وباليهود أيضا: أن يستغلوا سماحة الإسلام، وسذاجة أهله أحياناً فيذلوا رعايا الدولة الإسلامية التي احتضنتهم في صدرها، وضمتهم في حناياها، وأولتهم عطفها وحنانها حتى قال الشاعر :

يهود هذا الزمان قد بلغوا	**غاية آمالهم و قد ملكوا**
المجد فيهم والمال عندهمو	**ومنهم المستشار والملك**
يا أهل مصر إن نصحت لكم	**تهودوا قد تهود الفلك**

وتشهد كتب التاريخ أنه معاوية ﷺ اتخذ كاتباً نصرانياً اسمه سرجون ، وأن أبا عبيدة ﷺ اتخذ أيضا كاتباً نصرانياً ولكن عمر ﷺ نهى عن ذلك .

وقد استخدم معاوية ﷺ النصارى في مصالح الدولة، وقرّب النابهين منهم، وعهد بالإدارة المالية إلى أسرة نصرانية، ظلت تتوارث فيما بينها تلك الإدارة وهي أسرة سرجون .

وأبقى في دواوين الشام الكتاب من النصارى من أهل البلاد لكثرتهم يكتبون باليونانية، كما اختار معاوية الطبيب النصراني " ابن أثال "

ليكون طبيبه الخاص، وكتب " ابن بطريق " وهو رجل من أهل فلسطين لسليمان بن عبد الملك، وكتب " تاذري بن أسطين " لهشام بن عبد الملك.

وبرز من النصارى شعراء فحول فقربهم الخلفاء، ومـــنهم: الأخطـــل التغلبي، والذي يعد شاعر بني أمية. قال عنه عبد الملك بن مـــروان : إن لكل قوم شاعراً، وإن شاعر بني أمية الأخطل . ومنهم أيضاً " أعشى بـــن ربيعة " و " مرقص الطائي " و " نابغة بن شيبان " .

ولقد اعترف المؤرخون من غير المسلمين بذلك يقول " أرنولد " : لا يسعنا إلا الاعتراف بأن تاريخ النصارى في ظل الحكم الإسلامي يمتـــاز ببعده بعداً تاماً عن الاضطهاد الديني .

ويقول "ول ديورانت" : لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزردشـــتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافـــة الأمويـــة بدرجـــة مـــن التسامح، لا تجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كـــانوا أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم .

وذكر " السير توماس أرنولـــد " أســـماء بعـــض الـــوزراء والـــولاة المسيحيين في الدويلات الإسلامية، وأسماء الأطباء المقربين من الخلفاء، ثم قال: إن المسيحيين أحرزوا ثروات ، وتمتعوا بنجاح عظيم في عصور الإسلام الأولى بفضل ما كفل الإسلام لهم من حريـــة الحيـــاة والملـــك والعقيدة، حتى كان منهم أصحاب النفوذ العظيم في قصور الخلفاء[1].

---

[1] – نقلاً عن : السياسة الأموية تجاه أهل الذمة ومؤسساتهم في بلاد الشام / د : مروان القدومي / بحث في مجلة الدعوة الإسلامية الليبية / العدد الخامس .

ويذكر الدكتور القرضاوي حفظه الله : أنه يجوز لأهل الذمة تولى وظائف الدولة كالمسلمين، إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة ، ورئاسة الدولة، والقيادة في الجيش، والقضاء بين المسلمين، والولاية على الصدقات ونحو ذلك .

وماعدا ذلك من وظائف الدولة يجوز إسناده إلى أهل الذمة؛ إذا تحققت فيهم الشروط التي لا بد منها: من الكفاية، والأمانة، والإخلاص للدولة .[1]

وقد صرح الإمام الفقيه الماوردي في كتابه " الأحكام السلطانية " بجواز تقليد الذمي " وزارة التنفيذ "، ووزير التنفيذ هو الذي يبلغ أوامر الإمام، وهذا بخلاف وزارة التفويض .[2]

وقد تمرغ عدد غير قليل منهم في بلاط الخلفاء، ويذكر الدكتور الخربوطلي في كتابه أهل الذمة ما يلي :

اشتهر من بين أهل الذمة في العصر العباسي كثير من العظماء مثل " جرجس بن نجتيشوع " طبيب الخليفة العباسي " أبي جعفر المنصور"، وقد وثق فيه الخليفة وأكرمه، ومن هؤلاء " جبرائيل بن نختيشوع " طبيب " هارون الرشيد " الذي قال الرشيد عنه : كل من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبريل، لأني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني . وكان مرتب الطبيب عشرة آلاف درهم سنوياً، ويصله كل سنة بعشرين ألفاً .

---

[1] – انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي / مرجع سابق / ص23 24 بتصرف .

[2] – نقلاً عن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي / مرجع سابق / ص33 .

وأشاد ترتون بتسامح المسلمين فقال : والكتاب المسلمون كريمون في تقدير فضائل هؤلاء ممن على غير ملتهم، حتى ليُسمون " حنين ابن اسحق " برأس أطباء عصره، و" هبة الله بن تلميذ " بأبو قراط عصره وجالينوس دهره .

وكان " نختيشوع بن جبرائيل " ينعم بعطف الخليفة المتوكل حتى إنه كاد يضاهيه في ملابسه، وفي حسن الحال، وكثرة المال، وكمال المروءة، ومبارته في الطيب والجواري والعبيد .

ولما مرض " سلمويه " بعث المعتصم ابنه لزيارته، ولما مات أمر بأن تحضر جنازته إلى القصر، وأن يصلى عليه بالشموع والبخور جرياً على عادة النصارى، وامتنع المعتصم يوم موته عن أكل الطعام .

أما " يوحنا بن ماسويه " فقد خدم الخلفاء العباسين منذ "الرشيد" إلى "المتوكل"، وكان لا يغيب قط عن طعامهم، فكانوا لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرته، ومن ثم لم يكن هناك أدنى كلفة بينه وبين الخليفة المتوكل، فكان الخليفة يداعبه في رفق ولين.[1]

وقد ذكر صاحب كتاب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " عدداً من أهل الذمة الذين عاشوا في ظل الدولة الإسلامية نذكر منهم :

- **في العهد الراشدي :**

أرسل معاوية طبيباً نصرانياً من الشام ليداوي عثمان من مرض أصابه .

---

[1] – انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي / مرجع سابق/ ص 57 58 .

- **في الخلافة الأموية :**

1ـ كان لمعاوية طبيبان نصرانيان :

الأول : ابن أثال وكان خبيراً بالسموم .

الثاني : أبو الحكم الدمشقي وكان عالماً بأنواع العلاج والأدوية والطب .

2ـ حكم الدمشقي وهو ابن أبي الحكم السابق وكان من أطباء الدولة الأموية .

3ـ عيسى بن حكم الدمشقي وقد عمر حتى جاوز المئة .

4ـ تياذدق وكان الطبيب الخاص للحجاج بن يوسف الثقفي .

5ـ عبد الملك بن أبجر الكناني وكان طبيباً لعمر بن عبد العزيز عندما كان أبوه والياً على مصر وقد أقنعه عمر بالإسلام فأسلم .

- **في الخلافة العباسية :**

اشتهرت عائلة " نجتيشوع " بالطب وبرز منهم عدد من الأطباء في الخلافة العباسية ومنهم :

1ـ " جوريجوس بن جبرائيل بن نجتيشوع " وقد استدعاه المنصور فداوى المنصور من مرض أصاب معدته، فجعله طبيباً له ولأسرته، وكان المنصور يقول له : اتق الله وأسلم أضمن لك الجنة . فلم يُسْلِم .

2ـ نجتيشوع بن جورجيوس . وقد خلف أباه في الطب، وجعله هارون الرشيد طبيبه الخاص .

3ـ يوحنا بن نجتيشوع وكان طبيباً للخليفة العباسي الموفـق بالله .

4ـ نجتيشوع بن يوحنا وكان طبيباً خاصـاً للراضـي بـن المقتدر .

كما اشتهرت كذلك عائلة " ماسويه " بعد عائلة " نجتيشوع " وكـان منهم :

1ـ ماسويه الخوري .

2ـ يوحنا بن ماسويه وكان من المقربين من الخليفة الواثق .

3ـ عيسى أبو قريش النصراني .[1]

[1] – انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء / ابن أبي أصيبعه / ط دار مكتبة الحياة بيـروت / ص 183وما بعدها.

خامس عشر : مواقف خالدة لعلماء الإسلام وقضاته

وقد سجل التاريخ لنا مواقف رائعة تكتب لعلماء الإسلام حيث وقفوا أمام الأمراء والحكام لإنصاف النصارى ونصرتهم . ومن هذه المواقف :

1 ــ شريح القاضي وسارق درع علي بن أبي طالب :

ذكر ابن كثير في " البداية والنهاية : عن الشعبي قال : وجد علي بن أبى طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل إلى شريح يخاصمه . قــال : فجاء علي حتى جلس جنب شريح، وقال: يا شريح هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب. فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المــؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكــاذب. فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينــة؟ فــضحك علي وقال : أصاب شريح ما لي بينة . فقضى بها شــريح للنــصراني. قال: فأخذه النصراني ومشى خطا ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هــذه أحكام الأنبياء ؛ أمير المؤمنين يدفعني إلى قاضيه يقضي عليه، أشــهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبــده ورسوله، الدرع والله درعــك يــا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صــفين، فخرجــت مــن بعيرك الأورق . فقال علي: أما إذ أسلمت فهي لك، وحمله على فرس .[1]

إننا لا نملك أمام هذا المشهد إلا أن نقر بعظمة الإســلام ، وتواضــع رجاله العظام، وجرأة قضاته العادلين ، وهذا ما حدا بهذا النــصراني أن يسلم لما رأى من عظمة هذا الدين ، ووضوح مبادئه .

---

[1] – انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق/ ج8 / ص 4 ، 5 .

2 ـــ الإمام الأوزاعي وأهل لبنان :

ذكر صاحب " فتوح البلدان " قال : خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك ، فوجه صالح بن على بن عبد الله بن عبـــاس مـــن قتـــل مقاتلتهم ، وأقر من بقي منهم على دينهم ، وردهم إلى قراهم وأجلى قوما من أهل لبنان ، فحدثني القاسم بن سلام أن محمد بـــن كثيـــر حدثـــه أن الأوزاعي كتب إلى صالح رسالة طويلة حفظ منها : وقد كان من إجـــلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج علـــى خروجـــه، ممن قتلت بعضهم ، ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ؟ وحكم الله تعالى : (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) وهو أحق ما وُقف عنده واقتدي به ، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال : " مـــن ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه " [1] ، ثم ذكر كلاما . [2]

فانظر إلى هذا الموقف الرائع الذي وقفه أحد فقهـــاء الإســـلام وهـــو الإمام الأوزاعي رحمه الله ، وكيف منع والي المسلمين من التمادي فـــي هذا الظلم الذي وقع على بعض النصارى من أهل الذمة ، الذين لم يكـــن لهم شيء في الخروج على عامل الوالي ؟ وكيف أوقفه عند حده وذكـــره بأحكام الشريعة ونصوصها ، حتى رجع عن ظلمه .

[1] – رواه أبو داود في الخراج والإمارة (3052) ، وذكره الألباني في صحيح الجامع (2655).

[2] – انظر : فتوح البلدان / البلاذري / ط دار الكتب العلمية بيروت / ط 1403 هـــ / ص 166 ، 167 .

3 ــ جميع بن حاضر الباجي وأهل سمرقند :

ذكر البلاذري في " فتوح البلدان" قال : قال أبو عبيدة : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند ، فرفعوا إليه: أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر ، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا ، فنصب لهم " جميع بن حاضر الباجي " القاضي فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب ، وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم .[1]

4ــ إسماعيل بن إسحاق وعبدون بن صاعد النصراني:

قال القاضي عياض : حدث الدارقطني أن القاضي إسماعيل بن إسحاق ــ من أعلام المالكية، وقاضي بغداد توفى سنة 282هــ ــ دخل عليه عبدون بن صاعد النصراني وزير الخليفة المعتضد بالله العباسي، فقام له القاضي ورحّب به. فرأى إنكار الشهود لذلك، فلما خرج الوزير قال القاضي إسماعيل: قد علمتُ إنكاركم، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: 8، وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين، وهو سفير بيننا وبين المعتضد... وهذا من البر".[2]

---

[1] – انظر : فتوح البلدان / مرجع سابق/ ص 411 .

[2] – انظر: ترتيب المدارك / القاضي عياض/ ج3 / ص 166 / ط دار الحيـاة ببيـروت ــ تحقيق د. أحمد بكير محمود.

5 ــ شيخ الإسلام ابن تيمية وأسرى أهل الذمة :

ولعله لا أروع مما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ حين كلم "قطلوشاه " التتري في إطلاق الأسرى، فسمح له القائد التتري بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال : لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمة، ولا من أهل الملة ، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له .[1]

فانظر هنا أيضا إلى تشدد ابن تيمية، وحرصه على سلامة أهل الذمة، وحفظ حياتهم، وإصراره على فكاكهم، وعدم التفريق بين أسير وأخر حتى ولو اختلفت الديانة.

6 ــ الإمام القرافي :

وأختم هنا بكلمة رائعة للإمام شهاب الدين القرافي وهو يشرح كلمة "البر" الواردة في سورة الممتحنة ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: 8 ، فقال رحمه الله : الرفق بضعيفهم، وسد خُلَّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم ــ على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة ــ واحتمال إذايتهم في الجوار ــ مع القدرة على إزالته ــ لطفا منا بهم، لا خوفا ولا طمعا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يُجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم، إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم...الخ[2].

---

[1] – انظر: شرح السير الكبير/ ج 1 /ص 108 وما بعدها.

[2] – انظر: الفروق/ القرافي / ج3 ص 15 دار المعرفة بيروت/ بدون.

سادس عشر: ولأقباط مصر وصايا خاصة

وقد كان لأقباط مصر نصيب وافر من وصايا المصطفى ﷺ حتى رأينا الإمام مسلمًا يُبوب لذلك في صحيح ، وجعل بابا عنوانه: باب وصية النبيﷺ بأهل مصر، ومن مجمل الأحاديث التي جاءت في الكتب الحديث أذكر ما يلي:

1 ـــ عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال : " الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله " [1].

2 ـــ عن أبي عبد الرحمن الحبلي أن رسول اللهﷺ قال: " فاستوصوا بهم خيراً، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله " [2] يعني قبط مصر .

3 ـــ عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال:"إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً " [3] .

4 ـــ عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم دماً ورحماً " .[4]

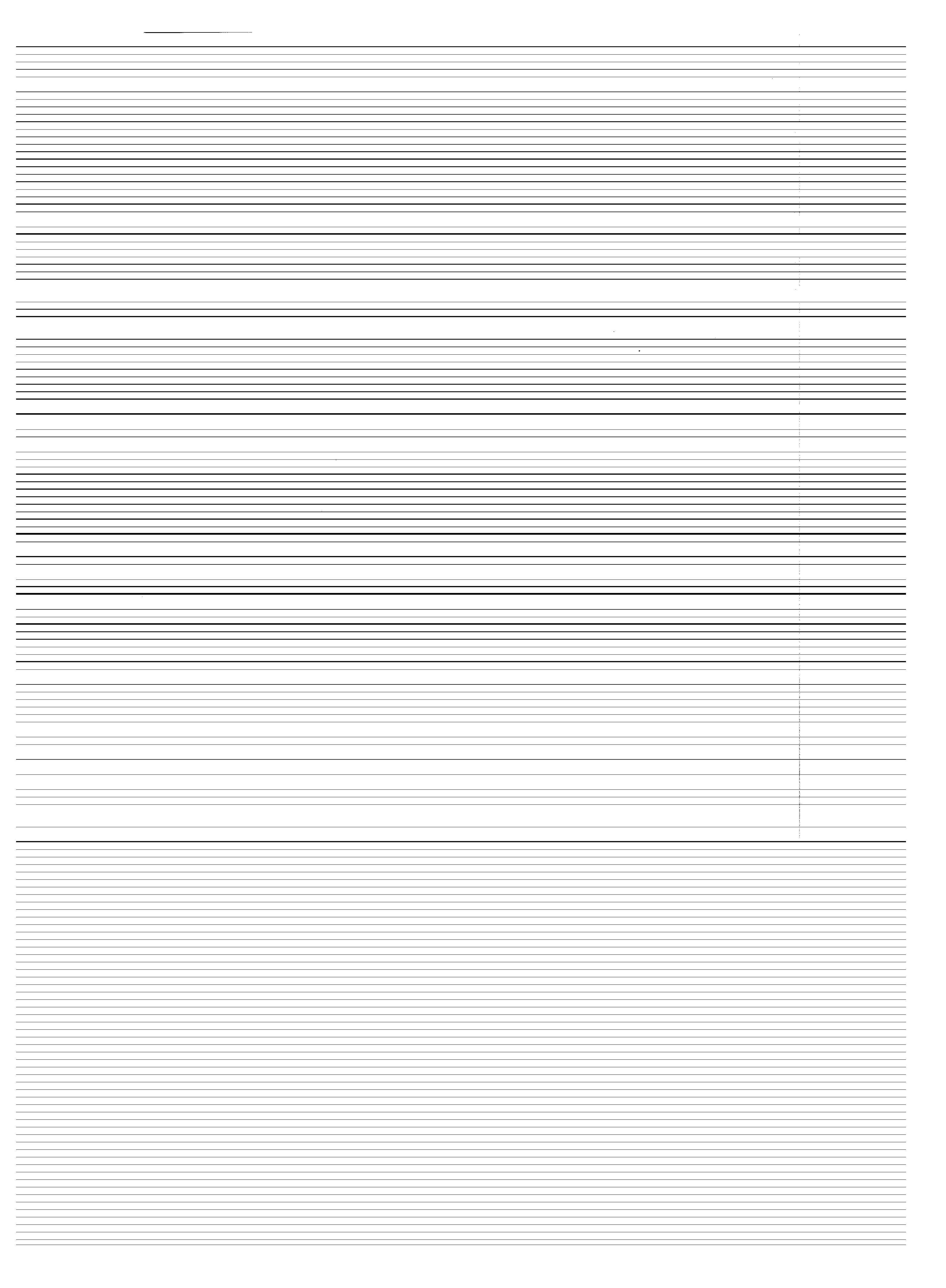
---

[1] – رواه الطبراني وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (3113) .

[2] – رواه ابن حبان وأبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح(10/ 64).

[3] – رواه مسلم في فضائل الصحابة رقم (2543) عن أبي ذر.

[4] – رواه الطبراني وذكره الحافظ في مجمع الزوائد وقال رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح (10/ 63).



سابع عشر: هل النصارى إخوان للمسلمين؟

ومما ينبعي الإشارة إليه هنا، أمـر يتعلـق بأتبـاع هـذه الديانـة (النصرانية) ، فهؤلاء هل يجوز لنا أن نعتبرهم إخوانا لنا؟

وأود هنا أن أذكر كلاما رائعا للشيخ القرضاوي وهو يؤكد من خلال الأدلة: أن هؤلاء القوم إخوان لنا، وليس هناك مانع شرعي من ذلك، يقول الشيخ: وهذا تعبير صحيح ولا غبار عليه , فالأخوة أنواع ومستويات , أعلاها بلا ريب : " الأخوة الدينية " التي تقوم على العقيدة الواحدة , وهي التي جاء فيها قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ الحجرات 10 , وهي التي أمتن الله بها على عباده فقال : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ آل عمران: 103 . وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ {62} وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {63}﴾ الأنفال: 62 ـ 63 .

وقال ﷺ : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ".[1]

ولكن هناك أنواعاً أخرى غير هذه الأخوة ودون هذه الأخوة , ولكنها موجودة في الحياة ولها حقوقها وآثارها .

[1] – رواه مسلم في البر والصلة رقم (2580) .

ومن هذه "الأخوة القومية" التي تقوم على رابطة العرق الواحد أو الجنس الواحد, مثل رابطة "العروبة" بين العرب على اختلاف أديانهم .

وهناك " الرابطة الوطنية " التي تقوم على أساس الوطن الواحد والإقليم الواحد , مثل رابطة المصريين في مصر , والسوريين في سوريا , والعراقيين في العراق , وهكذا.

وهناك " الأخوة الإنسانية " العامة , التي تربط البشر بعضهم ببعض باعتبار الآدمية المشتركة .

وأنا حين قلت عن المسيحيين العرب الذين يشاركوننا في الانتماء إلى العروبة، أو المصريين الذين يعايشونا في وطن واحد هو وطننا ووطنهم: إنهم إخوان لنا , لم أقصد أنهم إخوان لنا في الدين , فديننا قطعاً مختلف . ولكن قصدت إنهم إخوان لنا في الانتماء القومي أو الانتماء الوطني , وإطلاق الأخوة بهذا المعنى جائز ومشروع .

وهذا الإطلاق له أصل من القرآن الكريم , هو الذي دعاني أن أقول ذلك , منذ سنين , وقد كنت قبل ذلك أتردد في إطلاقه .

هذا الأصل هو أن كتاب الله تعالى وصف أنبياء الله المرسلين إلى أقوامهم بأنهم " إخوان لهم " مع أنهم كفروا بهم وكذبوهم وعصوهم .

نقرأ في هذا في سورة الشعراء قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ {123} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ {124} ﴾ الشعراء 123 ـــ 124 .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ {160} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ {161}﴾ الشعراء 161 .

وبهذا يتبين لنا أن القرآن الكريم أقر(الأخوة غير الدينية) أي الأخوة المبنية على وحدة القوم، ومثلها القائمة على وحدة الوطن.فالأخوة الدينية أخص،وهذه أعم،ولا تنافي بين الخاص والعام.

بل أقول: هناك أخوة أعم من هذه كلها،وهي الأخوة البشرية العامة،المؤسسة على أن جميع البشر عباد الله تعالى،وأبناء لآدم،كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس،إن ربكم واحد،وإن أباكم واحد"[1].

وقد روى أحمد وأبو داود عن زيد بن أرقم،أن النبي ﷺ كان يقول دبر كل صلاة : "اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه،أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك. اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه،أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك. اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه،أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة" .[2]

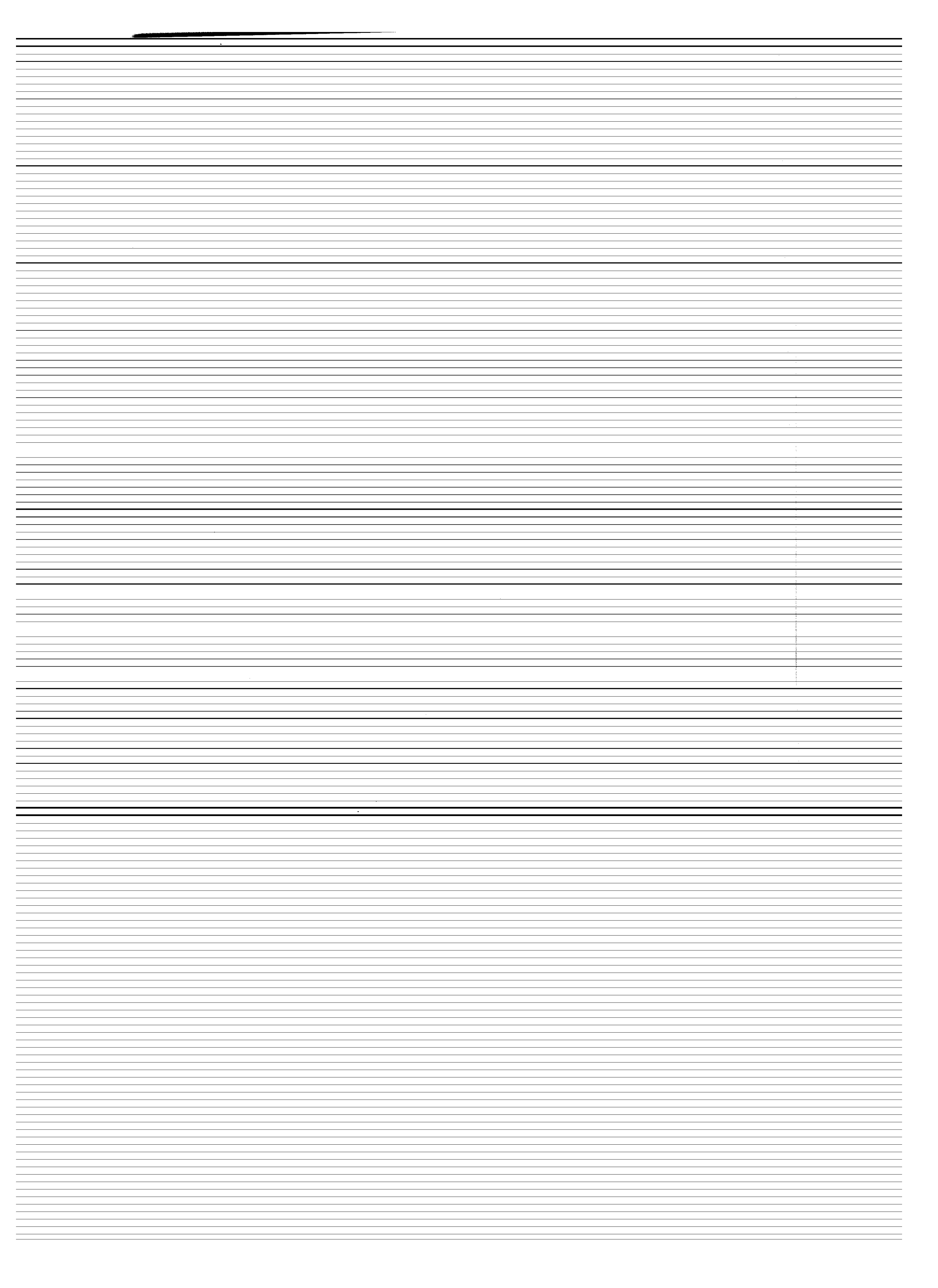
فهذه الأخوة التي تضمنتها الشهادة الثالثة،تشمل في ظاهرها كل العباد،عجما وعربا،بيضا وسودا،أغنياء وفقراء،ملوكا وسوقة،مسلمين وغير مسلمين.[3]

---

[1] رواه أحمد في المسند (43289) عن رجل من أصحاب النبيﷺ ، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

[2] – رواه أحمد في المسند (19293) عن زيد بن أرقم، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف، ورواه أبو داوود (1508) والنسائي في الكبرى (9929) .

[3] – انظر : فتاوى معاصرة / ج3 / ص 192 – 193 .



ثامن عشر: هل النصارى كفار ؟

وهذه قضية أخرى يكثر الكلام والجدل حولها ، وخصوصاً بعد ما ذكرناه من سماحة الإسلام مع هؤلاء القوم ، وكثيراً ما يتجرأ الأدعياء ويتهمون من يقول بكفر النصارى ــ وكذلك اليهود ــ بالتطرف والإرهاب ، ولكن ما العجب في ذلك إن كانوا هم ينظرون إلينا بنفس المنظار ؟ إننا من منظورهم كفار و (أولاد كفار) بيد أننا إن كنا ننظر إليهم كما ينظرون إلينا ، فإننا لا ننظر إلى أولادهم بهذا المنظار؛ ما لم يبلغوا ويختاروا لأنفسهم ما اختاره لهم آباؤهم .

و لقد رد العلامة القرضاوي على هذه الشبهة فكتب تحت عنوان (لهذا نكفر اليهود والنصارى) يقول : فاليهود والنصارى كفار في اعتقاد المسلمين؛ لأنهم لم يؤمنوا برسالة محمد، الذي أرسل إلى الناس كافة، وإليهم خاصة، كما جاء في الآيات الصريحة البينة ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ المائدة:19 ، وقد آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، فهم بنص القرآن الصريح: ﴿هـمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ﴾ النساء: 151.

وهم لم يكتفوا بالكفر برسالة محمد، والإعراض عنها، بل كادوا له ومكروا به، وصدوا عن سبيله. كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة:32.

واليهود والنصارى كفار؛ لأنهم قالوا على الله بغير علم، وشوّهوا حقيقة الألوهية في كتبهم، ووصفوا الله بما لا يليق بجلاله وكماله، ونسبوا إليه نقص البشر، وعجز البشر، وجهل البشر، وهذا ثابت في (أسفار التوراة) التي يؤمن بها اليهود والنصارى جميعا، فكل ما يؤمن به اليهود في شأن الألوهية والنبوة يؤمن به النصارى، لأن التوراة المحرفة الموجودة الآن في أيديهم (كتاب مقدس) عند الطائفتين جميعا.

ويزيد النصارى على اليهود ما انفردوا به في شأن المسيح، حيث اعتبروه إلها، أو ابن إله، أو واحدا من ثلاثة أقانيم تكوّن (الإله). وهذا قد قرر القرآن بوضوح بين، وبيان واضح: أنه كفر. كما قال تعالى في سورة المائدة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ في آيتين من السورة آية:17، و آية:72 ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إلا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

وفي سورة التوبة ــ وهي من أواخر ما نزل أيضًا ــ جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)﴾ التوبة:30-31.[1]

---

[1] – انظر : فتاوى معاصرة / الدكتور / القرضاوي / ج 3 / ص 169/ طبعة دار القلم الكويت / ط الثالثة 2001م ، وانظر : موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى / د / القرضاوي / ص 35 وما بعدها / ط مكتبة وهبة / ط الأولى 1999 م .

تاسع عشر: شهادة إنصاف

وأود هنا أن أذكر بعض كلمات الإنصاف التي عبّر بها بعض المؤرخين والكتاب من المسلمين، ومن غير المسلمين، والتي تدل على سماحة هذا الدين العظيم:

1 ــ ما كتبه السير توماس. و. أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام):

قال وهو يتحدث عن أحد القضايا الشائكة ــ التي يثيرها بعض المتحذلقين في القديم وفي الحديث ــ وهي قضية الجزية . فيقول : ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة. وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش، في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين. ولما قدم أهل الحيرة المال المتفق عليه، ذكروا صراحة أنهم دفعوا هذه الجزية على شريطة: "أن يمنعونا وأميرهم البغي ".

كذلك حدث أن سجل خالد في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة قوله: "فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا".

ويمكن الحكم على مدى اعتراف المسلمين الصريح بهذا الشرط، من تلك الحادثة التي وقعت في عهد الخليفة عمر. لما حشد الإمبراطور

هرقل جيشا ضخما لصد قوات المسلمين المحتلة، كان لزاما على المسلمين ــ نتيجة لما حدث ــ أن يركزوا كل نشاطهم في المعركة التي أحدقت بهم. فلما علم بذلك أبو عبيدة قائد العرب كتب إلى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد ما جُبي من الجزية من هذه المدن، وكتب إلى الناس يقول: "إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم". وبذلك ردت مبالغ طائلة من مال الدولة، فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين، وقالوا: "ردكم الله علينا، ونصركم عليهم (أي على الروم) .. فلو كانوا هم، لم يردوا علينا شيئا، وأخذوا كل شيء بقي لنا".

وقد فرضت الجزية ــ كما ذكرنا ــ على القادرين من الذكور مقابل الخدمة العسكرية التي كانوا يطالبون بها لو كانوا مسلمين، ومن الواضح أن أي جماعة مسيحية كانت تُعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي. وكانت الحال على هذا النحو مع قبيلة (الجراجمة) وهي مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية، سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عونا لهم، وأن تقاتل معهم في مغازيهم، على شريطة ألا تؤخذ بالجزية، وأن تعطى نصيبها من الغنائم.

ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس سنة 22هـ، أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود تلك البلاد، وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية.

ونجد أمثلة شبيهة بهذه للإعفاء من الجزية في حالة المسيحيين الـذين عملوا في الجيش أو الأسطول في ظل الحكم التركي. مثال ذلك ما عومل به أهل ميغاريا (Migaria)، وهم جماعة من مسيحي ألبانيا؛ الذين أُعفوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يقـدموا جماعـة مـن الرجـال المسلحين لحراسة الدروب على جبال (cithaeron) و(Geraned) التي كانت تؤدي إلى خليج كورنته؛ وكان المسيحيون الذين استخدموا طلائـع لمقدمة الفتح التركي، لإصلاح الطرق وإقامة الجسور، وقد أعفـوا مـن أداء الخراج، ومنحوا هبات من الأرض المعفاة من جميع الضرائب.

وكذلك لم يدفع أهـالي (Hydra) المـسيحيون ضـرائب مباشـرة للسلطان، وإنما قدموا مقابلها فرقة من مائتين وخمسين من أشداء رجـال الأسطول، كان ينفق عليهم من بيت المال في تلك الناحية.

وقد أعفي أيضا من الضريبة أهالي رومانيا الجنوبية الذين يطلقـون عليهم (Armatioli) ، وكانوا يؤلفون عنصرا هاما من عناصر القوة في الجيش التركي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ثـم المرديون (Midrdites) وكان ذلك على شريطة أن يقدموا فرقة مسلحة في زمن الحرب.

وبتلك الروح ذاتها لم تقرر جزية الرؤوس على نـصارى الإغريـق الذين أشرفوا على القناطر التي أمدت القسطنطينية بمـاء الـشرب، ولا على الذين كانوا في حراسة مستودعات البارود في تلك المدينة، نظـرا إلى ما قدموه للدولة من خدمات.

ومن جهة أخرى أعفي الفلاحون المصريون من الخدمـــة العـــسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام. وفرضت عليهم الجزية في نظير ذلك، كما فرضت على المسيحيين .[1]

هذا ما سجله المؤرّخ المنصف السير توماس أرنولـــد ، ومـــا حمـــل الرجل على ما ذهب إليه إلا ما رأه واضحا في صفحات التاريخ .

2 ـ ما ذكره " ول ديورانت " في كتابه " قصة الحضارة " :

قال وهو يتحدث عن التسامح في عهد الخلافة الأموية: لقد كان أهـــل الذمة ـــ المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون ـــ يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيـــرا فـــي الـــبلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شـــعائر ديـــنهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يُفرَض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص[2]، وأداء ضريبة عن كل شخص تختلـــف بـــاختلاف دخلـــه، وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير. ولم تكن هذه الضريبة تُفرَض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويُعفَى منها الرهبان، والنساء، والذكور الذين دون البلوغ، والأرقّاء، والـــشيوخ، والعجـــزة، والعمـــي، والشديدو الفقر، وكان الذميون يُعفون فـــي نظيـــر ذلـــك مـــن الخدمـــة

---

[1] ـ انظر : الدعوة إلى الإسلام / الطبعة الثالثة / ط مكتبة النهضة / السير توماس. و. أرنولد / ترجمة : د: حسن إبراهيم حسن، وآخرون ص79-81 .

[2] ـ ليس المقصود من الزي الخاص تحقير أهل الدمة، وإنما كان هذا الزي بمثابة إثبات الهوية، لأنه لم يكن هناك مايميز المسلين من أهل الذمة مما يعرف الآن بالهوية، أو بالبطاقة الشخصية.

العسكرية، أو إن شئت فقل: لا يُقبلون فيها، ولا تُفرض عليهم الزكاة البالغ قدرها 2.5% من الدخل السنوي ، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم، ولم تكن تُقبل شهادتهم في المحاكم الإسلامية، ولكنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم[1].

3 ــ البطريرك اغنطيوس الرابع هزيم:

قال البطريرك اغنطيوس الرابع هزيم في بحثه المقدم ضمن كتاب "المسيحية عبر تاريخها في المشرق" والذي أعده عدد من الكُتّاب النصارى: لم يعان المسيحيون في بلاد الشام الكثير من تبدل الأوضاع في السنوات العشر التي عقبت الفتح . فلم يلجأ الفاتحون إلى الشدة ليفرضوا على المغلوبين معتقداتهم الإسلامية بل لبثت سوريا بلداً " مسيحياً " فيها كنائس رائعة ذائعة الصيت على نحو كنيسة القيامة وكنيسة اللدّ والرّها، وحافظت على طابعها حتى نهاية الحقبة الأموية. وكان السواد الأعظم من سكان المدن مسيحياً .

وليس مستغرباً أن يشعر المسيحيون بالطمأنينة التي وفرّت لهم إلا في بعض الحالات، حيث تأثروا بأحداث محلية الطابع . ومن الوقائع التي تستحق الذكر بناء الخليفة معاوية كنيسة الرّها الكبرى على نفقته بعد أن دمرها الزلزال وإتاحته لابنه يزيد أن يختلط بالمسيحيين ويتردد على رهبانهم. ويروي الأب لامنس، استناداً إلى ابن قتيبة، قصة لا تخلو من الدلالة على علاقة معاوية بالمسيحيين. فعندما طعن في السن أصابه

[1] – انظر: قصة الحضارة/ ول ديورانت/ ج 13/ ص 131.

الأرق وكان يفيق كل ليلة على أجراس الكاتدرائية المجاورة لقصره فلم يشأ أن يسكتها بالشدة بل اعتمد الحيلة واكتفى بذلك رغم عدم نجاحه. ولم يعمل على تحويلها مسجد ومثله فعل عبد الله بن مروان لاحقاً للأسباب السياسية ذاتها .

وقد تحالف معاوية مع القبائل المسيحية مثل بني كلب التي تنتمي إليها زوجته ميسون. ومال أعضاء أسرته إلى السلوك ذاته . وقضى ابنه يزيد صباه في عشرة أخواله المسيحيين وفي صحبة أتراب كالأخطل ومنصور بن سرجون (القديس يوحنا الدمشقي) وسمح بأن يتتلمذ ابنه خالد على يد الراهب ماريانس أو اسطفانس . ويخبرنا ابن العبر أنه أبقى, لاحقا, مسيحيين حكاماً على بعض المقاطعات كالرّها التي حكمها طويلاً نسطاس بن أندراوس .

وكان قصر الخلفاء مفتوحاً للشعراء ومنهم عدد من المسيحيين كالأعشى والنابغة وبخاصة الأخطل الذي أباح لنفسه حرية كبيرة، بل مدهشة، في التصرف كما في الكلام.

استمر المسيحيون يمارسون شعائرهم الدينية ولا يكتمون معتقداتهم بل كانوا يجاهرون بها ويُعلّقون في أعناقهم صلبانا، كما ظل كُتّاب الدواوين المسيحيون، وحتى مطلع القرن الثاني للهجرة، يرسمون علامة الصليب على ظهر الوثائق الرسمية كما تشهد على ذلك مخطوطات البردي في مصر والمكتوبة باللغتين اليونانية والعربية، وكان المسلمون رؤساء هؤلاء الكُتّاب يثبتون ختمهم إلى جانب الصليب بدل أن ينهوهم عن ذلك.[1]

---

[1] – انظر: المسيحية عبر تاريخها في المشرق/ تحرير كل من: حبيب بدر وسعاد سليم و جوزيف أبو نهرا /صادر عن المجلس كنائس الشرق الأوسط بيروت لبنان/ الطبعة الأولى 2001م/ ص 482، 483 بتصرف.

4 ــ فرح فرزلي:

وقال فرح فرزلي في بحثه المقدم ضمن كتاب "المسيحية عبر تاريخها في المشرق" والذي أعده عدد من الكُتّاب النصارى: أكد المؤرخون العرب والغربيون أن القدس فُتحت صلحا، وبحسب الإتفاقات الموقعة بين الأطرف، غادر الفرنج المدينة وكانوا قد باعوا ما لا يمكنهم حمله من أمتعتهم وذخائرهم وأموالهم بأرخص الأثمان، فاشتراها التجار من أهل العسكر، واشتراها النصارى من أهل القدس الذين ليسوا من الفرنج، وطلب هؤلاء من صلاح الدين أن يمكنهم من المقام في مساكنهم ويأخذ الجزية فأجابهم إلى ذلك، وهكذا ثبت الأرمن في مركزهم في كاتدرائية مار يعقوب، وجعلهم يحتفظون بممتلكاتهم في بيت لحم، لأن العلاقات الأرمينية – الأيوبية كانت جيدة كما كان قد رسمها نور الدين سنة (1172م/ 568هـ).

وراعى صلاح الدين القبط والأحباش وثبتهم في أماكنهم لأن القباط كانوا من رعاياه والأحباش من جيرانه، ومنح القبط دير السلطان، ورد لهم كل الأماكن التي استولى عليها الفرنج . وكان بالقدس بعض نساء ملوك الروم ممن ترهبن وأقمن في المدينة ومعهن حشد من العبيد والجواري وخلق كثير، ولهن من الأموال والجواهر النفيسة شيء عظيم، فطلبن الأمان لأنفسهن ومنمعهن فأمّنهن.[1]

---

[1] – انظر: المسيحية عبر تاريخها في المشرق/ مرجع سابق/ ص 583.

5 ــ كلمات رائعة لبعض نصارى مصر:

وهذ كلمات رائعة رصينة لعدد من نصارى مصر يقرون فيها بروعة وعدالة الشريعة الإسلامية، ومن هؤلاء:

مكرم عبيد باشا : نحن مسلمون وطنًا، ونصارى دينًا، اللهم اجعلنــا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارًا، واللهم اجعلنا نحن نــصارى لــك، وللوطن مسلمين.[1]

البابا شنودة: إن الأقباط في ظل حكم الشريعة الإسلامية يكونــون أسعد حالا وأكثر أمنًا، ولقد كانوا كذلك في الماضي، حينما كــان حكــم الشريعة هو السائد ؛ نحن نتوق إلى أن نعيش في ظل:" لهم ما لنا وعليهم وما علينا".

إن مصر تجلب القوانين من الخارج حتى الآن، وتطبقها علينا، ونحن ليس عندنا ما في الإسلام من قوانين مُفــصلة،فكيف نرضـــى بــالقوانين المجلوبة ولا نرضى بقوانين الإسلام؟[2]

الأنبا موسى ــ الأسقف العام ــ : نحن مصريون عرقًا، ولكن الثقافة الإسلامية هي السائدة الآن .. وأي قبطي يحمل في الكثير مــن حديثــه تعبيرات إسلامية يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة، بل هـــي جزء من مكوناته ..ومصر دائمًا دولة مسلمة ومتدينـــة، ولكــن بــدون تطرف.[3]

---

[1] – صحيفة الوفد القاهرية عدد 21/ 1/1993م.

[2] – الأهرام القاهرية عدد 3/6 / 1985م.

[3] – نقلا عن كتاب: الملل والنحل والعراق. هموم الأقليات في العالم العربي/ سعد الدين إبراهيم/ ط 1990م/ ص 530.

الأنبا يوحنا قلتة: أنا مسلم ثقافة مائة في المائة .. أنا مسيحي دينًا، وعضو في الحضارة الإسلامية .. فكلنا مسلمون حضارة وثقافة، وإنه يُشرفني وأفتخر أنني مسيحي عربي أعيش في حضارة إسلامية، وفي بلد إسلامي، وأساهم وأبني مع جميع المواطنين، هذه الحضارة الرائعة.[1]

غالي شكري: إن الحضارة الإسلامية هي الانتماء الأساسي لأقباط مصر ولكافة المواطنين .. فلقد ورثت كل ما سبقها من حضارات، وأصبحت هي الانتماء الأساس، والذي بدونه يصبح المواطن في ضياع مُطلق .. إننا ننتمي -كعرب من مصر- إلى الإسلام الحضاري والثقافي وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقًا مع العقيدة الدينية؛ لأن الإسلام وحد العرب، وكان عامل توحيد للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد .[2]

6 ـ السباعي رحمه الله ينقل عن كثير من المستشرقين:

وأختم هذه الشهادة بما نقله الأستاذ مصطفى السباعي عن هذا التسامح في كتابه الرائع "من روائع حضارتنا "، حيث كتب يقول: إن التسامح الديني في حضارتنا مما لا يعهد له مثيل في تاريخ العصور الماضية، وقد أجمع المؤرخون الغربيون ممن يحترمون الحق على هذا التسامح وأشادوا به.

[1] – نقلا عن: الإسلام والسياسة الرد على شبهات العلمانيين/ محمد عمارة/ طبعة دار الرشاد القاهرة/ ط 1997م/ ص 152.

[2] – نقلا عن كتاب:يا أقباط مصر انتبهوا/ محمد مورو / ط دار المختار الإسلامي/ ط 1998م/ ص 15.

يقول المستر "درايبر " الأمريكي المشهور: إن المسلمين الأوائل في زمن الخلفاء لم يقتصروا في أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الإحترام ، بل فوّضوا إليهم كثيرا من الأعمال الجسام، ورقّوهم إلى مناصب الدولة، حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا بن ماسويه، ولم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذي ولد فيه، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة.

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر " ولز " في صدر بحثه عن تعاليم الإسلام: (إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السِّمة، ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي عما في أية جماعة أخرى سبقتها ...) إلى أن يقول عن الإسلام: (إنه مليء بروح الرفق والسماحة والأخوة).

ويقول السر " مارك سايس" في وصف الامبراطورية الإسلامية في عهد الرشيد: (وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمين على السواء يعملون في خدمة الحكومة).

ويقول " ترنون": (لم يكن للدين دخل في معاملة الشعراء والمغنين).

ويقول " ليفي بروتستال " في كتابه أسبانيا الإسلامية في القرن العاشر:

(إن كاتب الذمم كثيراً ما كان نصرانياً أو يهودياً، والوظائف مما يقلده النصارى واليهود، وقد كانوا يتصرفون للدولة في الأعمال الإدارية والحربية، ومن اليهود من كانوا ينوبون عن الخليفة بالسفارات إلى دول أوربا الغربية).

ويقول " رينو " في تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط: (إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين، فيختتنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير).

ويقول " أرنولد " وهو يتحدث عن المذاهب الدينية بين الطوائف المسيحية: (ولكن مبادئ التسامح الإسلامي حَرّمت مثل هذه الأعمال التي تنطوي على الظلم، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم، إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهداً في أن يعاملوا كل رعاياهم من غير المسلمين بالعدل والقسطاس، مثال ذلك: أنه بعد فتح مصر استغل اليعاقبة فرصة إقصاء السلطات البيزنطية ليسلبوا الأرثوذكس كنائسهم، ولكن المسلمين أعادوها أخيراً إلى أصحابها الشرعيين، بعد أن دلل الأرثوذكس على ملكهم لها) ... وإذا نظرنا إلى التسامح الذي على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي: ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة التصديق.

ونرى خير ما نختم به هذا البحث في التدليل على تسامحنا وتعصبهم، شهادة لحبر من أحبار النصرانية ليس بمتَّهم في تحيزه. لقد تحدث

بطريرك أنطاكية ميخائيل الأكبر، وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ــ بعد أن خضعت الكنائس الشرقية للحكم الإسلامي خمسة قرون ــ عن تسامح المسلمين واضطهاد الروم للكنائس الشرقية: (وهذا هو السبب في أن إلـه الانتقام الذي تفرّد بالقوة والجبروت، والذي يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء ويرفع الوضيع، لما رأى شرور الروم، الذين لجئوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا فينا العقاب في غير رحمة ولا شفقة: أرسل أبناء إسماعيل (العرب) من الجنوب (الجزيرة العربية) ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم. وفي الحق أننا إذا كنا في تحملنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا وإعطائها لأهل خلقيدونية، فقد استمرت هذه الكنائس في حوزتهم. ولما أسلمت المدن للعرب خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها- وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حوران- مع ذلك لم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم واذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام).

ألست ترى معي أن قول "غوستاف لوبون": إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم. هو إنصاف للحق قبل أن يكون إنصافا للمسلمين؟![1]

[1] – انظر : من روائع حضارتنا / د: مصطفى السباعي / 80 وما بعدها بتصرف.

المتميز للعشرين : تسامح أضر بأهله وأساء الآخرون فهمه

لم يكن هذا التسامح الذي تحدثنا عنه سابقاً وليد فكرة عابرة، أو مرحلة طارئة، أو في دولة معينة، ولكنه كان تعاليم دين، وأقوال رسول، وأعمال خلفاء راشدين، وأمراء مسلمين . وهذا ما أكده المستشرق الألماني " آدم متز " حيث قال: لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام .[1]

وهذا آخر وهو : المستشرق البريطاني " توماس أرنولد " يذكر قمة هذا التسامح فيقول : إنه من الحق أن نقول : إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي؛ بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً في أوربة قبل الأزمنة الحديثة.[2]

ولكن يبدو أن بعض الشعائر والأحكام – التي دلت على التسامح ودعت إليه – تُفهم عند بعض الناس بغير مقصودها ، أو تطبق بغير مرادها فينحاز الناس في مثل هذه الأحكام إلى فريقين :

1– فريق يميل إلى الإفراط .

2– فريق يميل إلى التفريط .

وفي مقابل الفريق الأول الذي يميل إلى التفريط – تظهر أمور لم تكن في الحسبان .

---

[1] – انظر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر / مرجع سابق/ /ج 1 / ص 106 .

[2] – انظر: الدعوة إلى الإسلام / سير توماس أرنولد / ترجمة د إبراهيم حسن وآخرون / ص 730 .

ولنظهر الأمر إيضاحاً، والحقيقة تجلية وبرهاناً في الموضوع الــذي بين أيدينا فنقول :

لقد أساء بعض الأمراء هذه المسامحة التي أمرت بها الشريعة الغراء فجعلوا بعض النصارى في وضع ليسوا أهلاً له، فجعلوا منهم الوزراء[1]، وخزان الأموال، والحجاب، وأصحاب الدواوين، والأعمــال المهمــة . ومن هؤلاء :

1ـ الوزير " عيسى بن نسطورس " الذي كان وزيراً لحاكم مــصر العزيز " نزار بن معد " .

2ـ أبو الفتح بن أبي النجم النصراني .

3ـ أبو الفرج بن القف الطبيب الجراح تولى الوزارة فــي الدولــة الفاطمية .

4ـ أبو الفرج صاعد بن هبة الله النصراني، كان وزيــراً للخليفــة الناصر العباسي.

5ـ بحر بن إسحاق القرطبي النصراني، تولى الوزارة لعبد الرحمن الناصر الثالث .

وقد أساء النصارى ـ وكذلك اليهود ـ ممن استوزروا فــي ظــل الدولة الإسلامية ما أتيح لهم من الأعمال والإدارات، وكانت هذه الإساءة ظاهرة جلية في بعض الأحيان، وباطنة في أحيان أخر، وقد صدق فــي هؤلاء قول الشاعر :

---

[1] – كلمة الوزير كانت تطلق قديماً على ما يعرف الآن برئيس الوزراء إذ لم يكن في الغالــب للخليفة إلا وزير واحد وهذا الوزير يقوم بما يطلق عليه الآن وزارات التفويض .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

وصدق فيهم قول العرب قديماً : (سمن كلبك يأكلك) .

وكانت هذه الإساءات على نوعين :

النوع الأول : استخدام وظائفهم وسلطانهم في ذل المسلمين .

النوع الثاني : التعاون مع أعداء المسلمين وموالاة الغزاة الماكرين.

النوع الأول : استخدام وظائفهم وسلطانهم في ذل المسلمين .

استغل بعض النصارى من ذوي النفوس المريضة ، والقلوب الخربة ، والطموحات الدنيئة سماحة الإسلام ، وتولية بعض الأمراء والخلفاء لهم بعض الأعمال الحسّاسة في دولة الإسلام؛ فعملوا على إذلال المسلمين ، وقد سجل لنا التاريخ بعض هذه المواقف ونذكر منها ما يلي :

1ــ قال ابن الأثير : في هذه السنة (531 هــ) في جمادى الأولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوي صــاحب مــصر، وكان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن ســنة تسع وعشرين وخمــسمائة ، وكان نصرانيا أرمنيا فتمكن في البلاد ، واســتعمل الأرمــن وعــزل المسلمين ، وأساء السيرة فيهم ، وأهانهم هو والأرمــن الــذين ولاهــم وطمعوا فيهم .[1]

2 ــ ولّى العزيز " نزار بــن معــد " " عيــسى بــن نــسطورس " النصراني كتابته ، واستناب بالشام يهوديا اسمه " منشا " فــاعتز بهمــا

[1] – انظر : الكامل / محمد بن محمد الشيباني / ط دار الكتب العلمية بيــروت / ط 1995 م . / ج 9 / ص 296 .

النصارى واليهود وآذوا المسلمين ، فعمد أهل مصر وكتبوا قصة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها : بالذي أعز اليهود بمنشا ، والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأذل المسلمين بك إلا كشفت ظلامتي ، وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز والرقعة بيدها ، فلما رآها أمر بأخذها ، فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من قراطيس علم ما أريد بذلك فقبض عليهما ، وأخذ من عيسى ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليهودي شيئا كثيرا .

وكان العزيز " نزار بن معد " يحب العفو ويستعمله ، فمن حلمه أنه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقي ، وكان كثير الهجاء فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز ، وكاتب الإنشاء أبا نصر عبد الله الحسين القيرواني ، فقال :

قل لأبي نصر حاجب القصر	والمتأتي لنقض ذا الأمر
انقض عرا الملك للوزير تفز	منه بحسن الثناء والذكر
واعط أو امنع ولا تخف أحدا	فصاحب القصر ليس في القصر
وليس يدري ماذا يراد به	وهو إذا ما درى فما يدري

فشكاه ابن كلس إلى العزيز وأنشده الشعر، فقال له : هذا شيء اشتركنا فيه في الهجاء ، فشاركني في العفو عنه ، ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرّض بالفضل القائد :

تنصر فالتنصر دين حق	عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا	وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا	العزيز ابن وروح القدس فضل

فشكاه أيضا إلى العزيز فامتعض منه إلا أنه قال : اعف عنه ، فعفا عنه ، ثم دخل الوزير على العزيز فقال : لم يبق للعفو عن هذا معنى وفيه غض من السياسة ونقض لهيبة الملك ، فإنه قد ذكرك وذكرني وذكر ابن زبارج نديمك وسبك بقوله :

زبارجي نديم وكلسي وزير نعم   **على قدر الكلب يصلح الساجور**[1]

فغضب العزيز وأمر بالقبض عليه فقبض عليه لوقته ، ثم بدا للعزيز إطلاقه ، فأرسل إليه يستدعيه ، وكان للوزير عين في القصر فأخبره بذلك ، فأمر بقتله فقتل ، فلما وصل رسول العزيز في طلبه أراه رأسه مقطوعا ، فعاد إليه فأخبره فاغتم له.[2]

3 ــ لما حج أبو جعفر المنصور اجتمع جماعة من المسلمين إلى شبيب بن شيبة ، وسألوه مخاطبة المنصور أن يرفع عنهم المظالم ، ولا يمكن النصارى من ظلمهم وعسفهم في ضياعهم ، ويمنعهم من انتهاك حرماتهم ، وتحريهم ، لكونه أمرهم أن يقبضوا ما وجدوه لبني أمية ، قال شبيب : فطفت معه ، فشبك أصابعه على أصابعي ، فقلت : يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أكلمك بما في نفسي ؟ فقال : أنت وذاك . فقلت : إن الله لما قسم أقسامه بين خلقه لم يرض لك إلا بأعلاها وأسناها ، ولم يجعل فوقك في الدنيا أحداً ، فلا ترض لنفسك أن يكون فوقك في الآخرة أحد ، يا أمير المؤمنين: اتق الله فإنها وصية الله إليكم جاءت ، وعنكم قبلت ، وإليكم تؤدى ، وما دعاني إلى قولي إلا محض النصيحة لك ،

---

1 – الساجور : القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب . انظر : لسان العرب / ج 4 / ص 347 .

2 – انظر : الكامل / مرجع سابق/ ج 7 / ص 477 .

والإشفاق عليك وعلى نعم الله عندك، اخفض جناحك إذا علا كعبك ، وابسط معروفك إذا أغنى الله يديك . يا أمير المؤمنين إن دون أبوابك نيرانا تأجج من الظلم والجور ، لا يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة نبيه محمد ﷺ، يا أمير المؤمنين سلطت الذمة على المسلمين ظلموهم وعسفوهم ، وأخذوا ضياعهم ، وغصبوهم أموالهم ، وجاروا عليهم ، واتخذوك سلما لشهواتهم ، وإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا يوم القيامة . فقال المنصور : خذ خاتمي فابعث به إلى من تعرفه من المسلمين . وقال : يا ربيع اكتب إلى الأعمال ، واصرف من بها من الذمة ، ومن أتاك به شبيب فأعلمنا بمكانه لنوقع باستخدامه . فقال شبيب : يا أمير المؤمنين إن المسلمين لا يأتونك وهؤلاء الكفرة في خدمتك ؛ إن أطاعوهم أغضبوا الله ، وإن أغضبوهم أغروك بهم ، ولكن تولي في اليوم الواحد عدة فكلما وليت رجلا عزلت آخر . [1]

4 ــ وأما المهدي فإن أهل الذمة في زمانه قويت شوكتهم ، فاجتمع المسلمون إلى بعض الصالحين وسألوه أن يعرفه بذلك وينصحه ، وكان له عادة في حضور مجلسه فاستدعي للحضور عند المهدي ، فامتنع فجاء المهدي إلى منزله وسأله السبب في تأخره ، فقص عليه القصة ، وذكر اجتماع الناس إلى بابه متظلمين من ظلم الذمة ثم أنشده :

بأبي وأمي ضاعت الأحلام	**أم ضاعت الأذهان والأفهام ؟**
من صد عن دين النبي محمد	**أله بأمر المسلمين قيام ؟**
إلا تكن أسيافهم مشهورة	**فينا فتلك سيوفهم أقلام**

[1] – انظر : أحكام أهل الذمة / مرجع سابق/ ج1 / ص 214 ، 215 .

ثم قال : يا أمير المؤمنين إنك تحملت أمانة هذه الأمة ، وقد عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، ثم سلمت الأمـــانة التي خصك الله بها إلى أهل الذمة دون المسلمين . يا أمير المؤمنين أمـا سمعت تفسير جدك لقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا ﴾ الكهف: 49 : أن الصغيرة التبسم ، والكبيرة القهقهة ؟

فما ظنك بأموال المسلمين وأماناتهم وأسرارهم ؟ وقد نصحتك وهـذه النصيحة حجة علي ما لم تصل إليك .

فولّى عمارة بن حمزة أعمال الأهواز ، وكور دجلة وكور فـارس ، وقلد حماداً أعمـال السواد ، وأمره أن ينزل إلى الأنبار وإلـى جميـع الأعمال ، ولا يترك أحداً من الذمة يكـتب لأحد من العمال ، وإن علـم أن أحداً من المسلمين استكتب أحداً من النصارى قطعت يـده .[1]

5 ــ وكان للمهدي على بعض ضياعه كاتب نـصراني بالبـصرة ، فظلم الناس في معاملته ، فتظلم المتظلمون إلى سوار بن عبدالله القاضي ، فأحضر وكلاء النصراني واستدعي بالبينة ، فشهدت على النـصراني بظلم الناس وتعدي مناهج الحق . ومضى النصراني فأخذ كتاب المهـدي إلى القاضي سوار بالتثبت في أمره ، فجاء البصرة ومعه الكتاب وجماعة من حمقى النصارى ، وجاءوا إلى المسجد فوجدوا سواراً جالساً للحكـم بين المسلمين ، فدخل المسجد وتجاوز الموضع الذي كان يجب الوقـوف عنده ، فمنعه الخدم فلم يعبأ بهم وسبهم ، ودنا حتى جلـس عـن يمـين

---

[1] – انظر : أحكام أهل الذمة / ابن القيم / ج1 / ص 215 ، 216 .

سوار، ودفع له الكتاب ، فوضعه بين يديه ولم يقرأه . وقـال : ألـست نصرانياً ؟ فقال : بلى أصلح الله القاضي . فرفع رأسه وقـال : جـروا برجله فسحب إلى باب المسجد ، وأدبه تأديباً بالغاً وحلف ألا يبرح واقفاً إلى أن يوفي المسلمين حقوقهم . فقال له كاتبه : قد فعلت اليـوم أمـراً يخاف أن يكون له عاقبة . فقال : أعز أمر الله يعزك الله .[1]

6 ــ وحج المتوكل فرئي رجل يطوف بالبيت ويدعو على المتوكل ، فأخذه الحرس وجاءوا به سريعاً فأمر بمعاقبته . فقال له : والله يا أميـر المؤمنين ما قلت ما قلته إلا وقد أيقنت بالقتل فاسمع كلامي ، ومر بقتلي . فقال : قل . فقال : سأطلق لساني بما يرضي الله ورسوله ويغضبك يا أمير المؤمنين ، قد اكتنفت دولتك كتاباً من الذمة أحسنوا الاختيار لأنفسهم ، وأساءوا الاختيار للمسلمين ، وابتاعوا دنياهم بآخرة أمير المـؤمنين ، خفتهم ولم تخف الله، وأنت مسؤول عما اجترحوا ، وليسوا مسؤولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة من أصلح دنيا غيره بفساد آخرته ، واذكر ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة ، وأول ليلة يخلو المرء في قبره بعمله . فبكى المتوكـل إلى أن غشي عليه ، وطلب الرجل فلم يوجد .[2]

7 ــ و في أيام الآمر بأمر الله امتدت أيدي النـصارى ، وبـسطوا أيديهم بالجناية، وتفننوا في أذى المسلمين ، وإيصال المـضرة إلـيهم ، واستعمل منهم كاتب يعرف بالراهب ، ولقب بالأب القديس ، الروحـاني

---

[1] – انظر : أحكام أهل الذمة / مرجع سابق/ ج1 / ص 216 ، 217 .
[2] – انظر : أحكام أهل الذمة / مرجع سابق/ ج1 / ص 221 ، 222 .

النفيس ، أبي الآباء ، وسيد الرؤساء ، مقدم ديـــن النـــصرانية ، وســـيد البتركية ، صفي الرب ومختاره ، ثالث عشر الحواريين ، فصادر اللعين عامة من بالديار المصرية من كاتب وحاكم وجندي وعامـــل وتـــاجر ، وامتدت يده إلى الناس على اختلاف طبقاتهم ، فخوّفـــه بعـــض مـــشايخ الكتاب من خالقه وباعثه ومحاسبه ، وحذّره من سوء عواقـــب أفعالـــه ، وأشار عليه بترك ما يكون سبباً لهلاكه ، وكان جماعة من كتاب مـــصر وقبطها في مجلسه فقال مخاطباً له ومسمعاً للجماعة : نحن مـــلاك هـــذه الديار حرباً وخراجاً ، ملكها المسلمون منا ، وتغلبوا عليهـــا وغـــصبوها واستملكوها من أيدينا ، فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوا بنا ، ولا يكون له نسبة إلى من قتل من رؤسائنا وملوكنا في أيام الفتـــوح ، فجميع ما نأخذه من أموال المسلمين ، وأموال ملوكهم وخلفائهم حل لنا ، وبعض ما نستحقه عليهم، فإذا حملنا لهم مالاً كانت المنة عليهم، وأنشد :

بنت كرم غصبوها أمهـــا وأهانوها فديست بالقـــــدم
ثم عادوا حكموها فيهـــم ولناهيك بخصم يحتكـــــم

فاستحسن الحاضرون من النصارى والمنافقين مـــا ســـمعوه منـــه، واستعادوه وعضوا عليه بالنواجذ حتى قيل : إن الذي اختاط عليـــه قلـــم اللعين من أملاك المسلمين مئتا ألف واثنان وسبعون ألفا (272000) ما بين دار وحانوت ، وأرض بأعمال الدولة ، إلى أن أعادها إلى أصحابها أبو علي بن الأفضل ، ومن الأموال مالا يحصيه إلا الله ، ثم انتبه الآمر

من رقدته ، وأفاق من سكرته ، وأدركته الحميــة الإســلامية والغيــرة المحمدية ، فغضب لله غضب ناصر للدين ، وبار بالمسلمين .[1]

8 ــ ومن ذلك ما رواه المقريزي في (خططه) : حيث ذكر أسباب انتفاضة سنة 721هـ / 1320م : أن النصارى عملوا كتاباً لدى الأمراء الخاصكية وترفعوا على المسلمين وكان منهم نصراني (والكاتب عندهم يجمع الضرائب أيضاً) لدى أمير يدعى عين الغزال فجاء سمسار مسلم وكان تأخر عن دفع ما عليه من ضريبة فأخذ يستسمح الكاتب والكاتب يغلظ له فقبّل المسلم رجل النصراني والنصراني لا يــزداد إلا عتــواً وسباً وضرباً للمسلم فتجمع الناس واستشفعوا له وهــو لا يــزداد إلا صلفاً وتجبراً فغضب الناس وألقوا الكاتــب النــصراني عــن حمــاره وأطلقوا السمسار وكان النصراني قد قرب من بيت الأمير عين الغــزال فاستنجد بالأمير فبعث له غلمانه فخلصوه من النــاس وشــرعوا فــي القبض عليهم ليفتكوا بهم .

فذهب فريق من الناس إلى قلعة الــسلطان وصــاحوا " نــصر الله السلطان " فأرسل يستكشف الخبر، فعرَّفــوه مــا كــان مــن اســتطالة النصراني على السمسار، وما جرى له ولهم، فطلب السلطان الأمير عين الغزال، وأحضر الأمراء وجميع النصارى الكتّاب لديهم الذين اســتطالوا على المسلمين وأذلُّوهم، فأمر بقتل النصارى هؤلاء، فتقدم إليه الأمــراء واستشفعوا لهم، فأمر الــسلطان الأشــرف خليــل ألا يُــستخدم اليهــود والنصارى في دوائر الدولة، ولا عنــد الأمــراء . وأمــر الأمــراء أن

---

[1] – انظر : أحكام أهل الذمة / مرجع سابق/ ج1 / ص 226 ، 227 .

يعرضوا الإسلام على من لديهم من الكتّاب والموظفين من أهل الكتـــاب، فمن قبل الإسلام تركه في وظيفته، ومن أبـــى أخرجـــه مـــن وظيفتـــه، فأظهروا الإسلام، فأنعم عليهم السلطان بالتشريفات، وبقوا في وظـــائفهم حتى قال الشاعر :

أسلم الكافرون بالسيف قهراً وإذا ما حلوا فهم مجرمونا

سلموا من رواح مال وروح فهم سالمون لا مسلمونا

9 ــ ومن ذلك ما رواه المقريزي في (خططه) أيضا قـــال : لمـــا انتهى الفيضان زمن ولاية " الحافظ لدين الله " انتدب الموفق بن الخـــلال جماعة من العدول والكتاب النصارى إلى الولايات والأعمال، لتحرير ما شمله الري وما زرع من الأرض، وتقدير خراجها وكتابة المكلفات .

وحدث أن خرج إلى بعض الجهات من يمسحها مـــن شـــاد ونـــاظر وعدول، وتأخر الكاتب النصراني ثم لحقهم .

وأراد الكاتب عبور النهر إلى الناحية الأخرى فحمله ضامن المعديـــة حتى إذا بلغ وجهته المقصودة سأله أجره، فغضب الكاتب وسبه، وقال له : أنا ماسح هذه البلدة وتريد حق التعدية ؟ .

فقال له الضامن : إن كان لي زرع فخذه .

ثم تقدم فخلع لجام بغلة القبطي وألقاه في معديته . فلم يجد الكاتب بداً من دفع الأجرة حين أخذ لجام بغلته .

ولما انتهى من مسح البلدة، وفرغ من تبييض المكلفة وحملهـــا إلـــى ديوان الخراج في العاصمة كما جرت العادة، وأضاف عشرين فداناً إلى

المجموع، وترك فراغاً بإحدى الصفحات وأطلع الشهود على القائمة فوقعوا بصدقها .

ثم كتب هو البياض الذي تركه (أرض اللجام) باسم صاحب المعدية، وقدرها بعشرين فداناً، لكل فدان أربعة دنانير . ثم جمل المكلفة إلى ديوان الأصيل.

وكانت العادة قد جرت أنه بعد انقضاء أربعة أشهر من السنة الخراجية، ترسل جنود أصحاب بطش وقوة، وكتاب وشهود، وكاتب نصراني إلى الولايات لاستخراج ثلث خراج الأرض وفقاً للمكلفات .

وكان هذا القدر من المال ينفق على الجند إذ لم تكن لهم وقتئذ إقطاعيات .

ولم يكن من المألوف إرسال الرجل الذي قام بمسح الأرض، بل يندب آخر مكانه.

ولما ذهبت هذه الجماعة وأعني بها (الشاد والكاتب والعدول) لجمع ثلث مال الناحية استدعوا أرباب الزرع، ومن بينهم ضامن المعدية، وأرغموه على دفع ستة وعشرين وثلثي دينار .

فأنكر أن يكون مالكاً لأي أرض في هذه الناحية وأيده القرويون في إنكاره. فرفض الشاد ـ وكان فظاً عسوفاً ـ الاستماع إلى شهادتهم وضربه بالمقارع ، وأرغمه على بيع قاربه وغيره لدفع الثلث الثابت عليه .

فسار صاحب المعدية إلى القاهرة، وأبلغ الخليفة قصته، فأعيد النظر في قوائم الخراج، فلم يجدوا أية إشارة إلى أرض اللجام .

فأمر الخليفة بإحضار الكاتب وسمِّر في مركب وقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم أن يطاف به في سائر الولايات وينادى عليه، كما أمر بكف يد النصارى كلهم عن الخدمة .

وكان الحافظ مولعاً بالفلك والتنجيم، فعمد النصارى إلى رشوة منجمه الخاص وطلبوا إليه أن يفضي للخليفة بأن مصر ستزدهر إن أقام السلطان في تدبير الدولة واحداً معيناً من النصارى ـ هو الأكرم بن زكريا ـ فجازت الحيلة على الخليفة وجعل للأكرم أمر الدواوين .

وبادر الأكرم من ساعته إلى زيادة عدد المسيحيين أكثر مما كانوا عليه قبلا وظهرت عليهم دلائل النعمة، فارتدوا الملابس الجميلة، وركبوا البغلات الرائعة، والخيول المسومة بالسروج، وبالغوا في الشدة على المسلمين، وضايقوهم في أرزاقهم واستولوا على الأحباس الدينية والأوقاف الشرعية، واتخذوا العبيد والمماليك والجواري من المسلمين والمسلمات، حتى لقد حملوا أحد الكتاب المسلمين على بيع أولاده وبناته بغرامة فرضوها عليه .

والتزم الخطوة نفسها أبو نجاح النصراني المعروف بالراهب .

فقد اقتضت مشيئة الخليفة المنصور أبو علي الملقب بالآمر ـ وهو عاشر الخلفاء الفاطميين ـ أن يسند إليه منصب الوزارة .

وباشر الرجل عمله فارتكب مظالم كثيرة، وسار في سياسة أحفظت عليه النفوس وبغّضته لدى العامة .

ولم يفلت من بلائه كبار الموظفين ومنهم القضاة والكتاب .

بل لقد أُثِرَ عنه ما يدل على تنقص لمكانة النبي ﷺ .

ثم أخذ يشتد في مصادرة أموال الناس على اختلاف طبقاتهم إلـــى أن لقى مصرعه أخيراً في الحادثة الآتية :

ذلك أنه كان يجلس بالجامع العتيق ويرسل فـــي اســـتدعاء مـــن أراد مصادرة أمواله، وفي يوم من الأيام طلب رجلاً من العدول الممتـــازين يعرف بابن الغرس، كان قد نال قدراً كبيراً من إجلال الناس واحتـــرامهم . فأهانه .

فخرج من عنده ووقف في المسجد يوم الجمعة، حيث يشتد ازدحـــام الناس وعبَّر عما شعر به من آلام وأحزان قائلاً :

يا أهل مصر انظروا عدل مولانا الآمر في تمكينه النصراني من المسلمين!

وهاجت هذه الكلمات عوامل الغضب في النفوس، وكادت تفضي إلى نشوب الفتن والاضطرابات لولا تداخل خـــواص الخليفـــة فـــي الأمـــر، وأعلموا مولاهم بما حل بالمسلمين من عدوان هذا الوزير وخوفوه سوء العاقبة .

فبعث الخليفة في طلب أبي نجاح .

فلما مَثَلَ بين يديه، انطلق رجل من الأشراف كان في حضرة الخليفة وأنشده هذا البيت :

إن الذي شُرِّفْتَ من أجله يزعم هذا أنه كاذب .

يقصد تذكير الخليفة بما أشيع عن الراهب من تهجـــم علـــى مكانـــة رسول الله . وعندئذ التفت الخليفة إلى أبي نجاح وقال له :

ما تقول يا راهب ؟ فسكت فأمر بقتله ....[1]

---

[1] – انظر : التعصب والتسامح / مرجع سابق/ ص 57 – 60 . نقلا عـــن المقريـــزي فـــي خططه .

ثانياً : التعاون مع أعداء المسلمين وموالاة الغزاة الماكرين .

لم يلق النصارى ولا لغيرهم؛ ممن عاش في كنف دولـــة الإســـلام: صدراً أحنّ من صدر الإسلام ، ولا قلباً أرأف من قلوب أهله ، ولا عدلاً أعظم من عدل قادته وحكامه؛ بيد أن أناساً تعودوا على قطع الأيدي التي مدت إليهم بالإحسان ، والتآمر على الدول التي شملتهم بالرعاية والآمان ، وهذا ما بدا وظهر من بعض النصارى والتاريخ يسجل لنا بعض هـــذه المواقف المخزية لهؤلاء ، ومنها :

1 ــ ذكر ابن كثير في أخذ التتار لدمشق قال: أرسل هولاكو وهـــو نازل على حلب جيشا مع أمير من كبار دولته يقال له " كتبغـــا نـــوين " ....وتداعت القلعة للسقوط فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة ، ففتحوها وخربوا كل بدنة فيها وأعالي بروجها ، وذلـــك فـــي نـــصف جمادي الأولى من هذه السنة، وقتلوا المتولي بها بدر الدين بن قراجـــا ، ونقيبها جمال الدين ابن الصيرفي الحلبي ، وسلموا البلد والقلعة إلى أمير منهم يقال له : ابل سيان، وكان لعنه الله معظما لدين النصارى فـــاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم فعظمهم جدا ، وزار كنائسهم فصارت لهـــم دولـــة وصولة بسببه ، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو وأخـــذوا معهـــم هدايا وتحفا وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته ، ودخلوا مـــن باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه علـــى رؤس النـــاس ، وهـــم ينادون بشعارهم ويقولون : (ظهر الدين الـــصحيح ديـــن المـــسيح) ، ويذمّون دين الإسلام وأهله ، ومعهم أواني فيها خمر ، لا يمرون علـــى باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا ، وقماقم ملانة خمرا يرشون منها على

وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ، ودخلوا من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان ورشوا عنده خمرا ، وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير ، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان أو قريب منه، فتكاثر عليهم المسلمون فردوهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله فإنا لله وإنا إليه راجعون .[1]

2 ــ نقل صاحب كتاب " النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة": أن الفرنج لما حاصروا أنطاكية مدة، نافق رجل من أنطاكية يقال له فيروز ــ وكان نصرانيا ــ وفتح لهم في الليل شباكا فدخلوا منه ووضعوا السيف وهرب شعبان ــ حاكم أنطاكية ــ وترك أهله وأمواله وأولاده بها فلما بعد عن البلد ندم على ذلك ، فنزل عن فرسه فحثى التراب على رأسه، وبكى ولطم، وتفرق عنه أصحابه ، وبقي وحده فمر به رجل أرمني حطّاب فعرفه فقتله ، وحمل رأسه إلى صنجيل ملك الفرنج.[2]

3 ــ و نقل أيضا صاحب كتاب " النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة "عن أبي يعلى بن القلانيسي : أن قوما من أهل أنطاكية ــ وكانوا نصارى ــ عملوا وواطأوا الفرنج على تسليمها إليهم لإساءة تقدمت من حاكم البلد في حقهم ومصادرته لهم ، ووجدوا الفرصة في

---

[1] – انظر : البداية والنهاية / مرجع سابق/ ج 13 / ص 219 .

[2] – انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / مرجع سابق/ ج 5 / ص 146 .

برج من الأبراج التي للبلد مما يلي الجبل ، فباعوهم إياه وأصعدوا منه في السحر وصاحوا ، فانهزم ياغي سيان وخرج في خلق عظيم ، فلم يسلم منهم شخص . [1]

4ـ ولقد تكرر مشهد الغواية والخيانة في مطلع العصر الحديث عندما جاء بونابرت (1769-1821م) على رأس الحملة الفرنسية لغزو مصر (1213هـ/1798م)، وألقى حبال الغواية لأبناء الأقليات الدينية، ووقع في هذه الحبال نفر من أقباط مصر، خانوا أمتهم وطائفتهم وكنيستهم. قادهم " المعلم يعقوب حنا" (1745-1801م) وكونوا فيلقاً قبطياً تزيّا بزي الجيش الفرنسي، وحارب المصريين وأذلهم لحساب الفرنسيين. ولقد تحدث مؤرخ العصر الجبرتي (1167-1237هـ/1754-1822م) عن صنيع "بونابرت" مع هذه القلة الخائنة، عندما جعل لهم نصف عضوية "ديوان المشورة"، والسلطة الفعلية في الجهاز المالي والإداري وبعبارة الجبرتي، فلقد فوض الجنرال كليبر (1753-1800م) للجنرال يعقوب "أن يفعل بالمسلمين ما يشاء حتى تطاول النصارى من القبط ونصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصلح مكاناً وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين!" . [2]

---

[1] – انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / مرجع سابق/ ج 5 / ص 147 .

[2] – انظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار / الجبرتي/ تحقيق حسن محمد جوهر, وآخرون/ ط 1965/ ج5/ص 136. وانظر: في المسألة القبطية / د : محمد عمارة / ص 52 ، 53 / طبعة مكتبة الشروق القاهرة / الطبعة الأولى 2001 م .

5 ـــ الاستغاثة بالأم أمريكا[1] : ففي أحداث الكاتدرائية المرقسية (مقر بطريرك الأقباط الأرثوذكس) المصاحبة لإسلام وفاء قسطنطين سمع العالم كله هتافات من داخل الكاتدرائية أقرب ما يمكن أن توصف به: خيانة عظمى "يا أمريكا فينك فينك.. أمن الدولة بيني وبينك"! وهي استغاثة بأمريكا الأم السفوق والصدر الحنون، إنها دعوة صريحة للتدخل الأمريكي لحماية الأقباط من اضطهاد " يشنشن" به من يطلق عليهم: أقباط المهجر.

وفي واقعة الفيوم[2] رُفعت لافتة بالإنجليزية تقول: " Christians under attack " أي (النصارى تحت وطأة الهجوم) ، وقد كانت الكنيسة دائما ما تؤكد بأن أصحاب هذا التوجه ما هم إلا فئة ضالة، أصبحت ألعوبة في يد المخابرات الأمريكية، والصهيونية العالمية. ولكن يبدو أن

---

[1] الاستعانة بالأم أمريكا ديدن الكثير من الأقباط في مصر، وورقة الأقلية الدينية والاضطهاد الديني يلجأ إليها أقباط مصر على وجه العموم، وأقباط المهجر على وجه الخصوص.

[2] – رغبت فتاتان هما: ماريان مكرم وتريزا إبراهيم، المتخرجتان حديثاً من كلية الطب في شهر إسلامهما، واتجهت الفتاتان إلى الشهر العقاري بالفيوم لتوثيق اعتناقهما للإسلام، وهنا تدخلت أجهزة الأمن، وطلبت من رجال الدين المسيحي في الفيوم الحضور لأحد فنادق المدينة لعقد جلسة نصح للفتاتين كما هو متعارف عليه عند إسلام أي نصراني ، والتي يقوم بعض الكهنة من خلالها بتقديم النصح بالبقاء على دينهما، وما أن علم أقباط الفيوم بما جرى حتى خرجت جموع حاشدة بالآلاف أغلبهم من الشباب للتظاهر داخل كنيسة مارجرجس يوم 27 فبراير 2004، احتجاجاً على عقد جلسة النصح!! وطالبوا بإعادة الفتاتين لأسرتيهما، وانتهت القضية بتلك الجلسة التي جرى خلالها (إقناع!) الفتاتين بعدم المضي قدماً في إجراءات الإشهار!

الكنيسة في حد ذاتها قد وقفت هذا الموقف، ولم يكـن الموقـف لأقبـاط المهجر فحسب؛ وإنما كان من أقباط الداخل كذلك.

6 ـ أقباط المهجر: وآخر هذه المواقف المخزية هو لمن يطلق عليهم أقباط المهجر، وهؤلاء يتم استخدامهم بأخس الطرق وأحقرها، حيث تدفع لهم الرواتب من الخزانة الأمريكية بالدولار الأمريكي، وأفظع مـا فـي الأمر أن يعلن بعض المنتمين إلى هذه الطائفـة علـى مواقعهـا علـى الانترنت عن حاجة المخابرات الأمريكية عن عملاء وجواسـيس ممـن يحملون الجنسية العربية برواتب مغرية تتجاوز الخمسة آلاف دولار.

وكان موقع "العربية" قد نشر على صفحاته ما يؤكد هـذه الفـضائح المخزية، والعار المشين، قالت "العربية": ناشدت مواقـع قبطيـة علـى الإنترنت رئيس وزراء إسرائيل أرييل شـارون والحكومـة الأمريكيـة التدخل في هذه القضية. كما طالب عدد من الأقباط المصريين غـالبيتهم في الولايات المتحدة بحكم ذاتي للأقباط في مصر.

وقد سعي عدد من أقباط المهجر في أمريكا وكنـدا، عبـر بيانـات وصلت للصحف المصرية، الاستنجاد بأمريكا وإسرائيل لحمايتهم، وطلب وساطة رئيس الوزراء الإسرائيلي آرئيل شارون مع الحكومة المصرية.

وأبدت مصادر رسمية غضبها مما تنشره بعض مواقع أقباط المهجر على شبكة الإنترنت من تحريض على الفتنة الطائفية في مصر، ومزاعم عن قصص لأسلمة زوجات كهنة، ودعوة أطـراف خارجيـة للتـدخل، خاصة بيان لـ "الجمعية الوطنية القبطية"، التي تتخذ من واشنطن مقـرا

لها، وصل لصحف محلية، يطالبون فيه شارون بحماية الأقباط، والتدخل لدى الحكومة المصرية لمنع ما يسمى "اضطهاد الأقباط"، حيث "كان الأقباط أيام أجدادهم الفراعنة يحتمون باليهود ووزيرهم آنذاك يوسف الصديق، واليوم جاء دوركم"، وفق نص البيان.

وقد قام المهندس مايكل منير رئيس منظمة أقباط الولايات المتحدة، وفق موقع "أقباط أمريكا" على الإنترنت، بإرسال عدة خطابات إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش وأعضاء الكونجرس الأمريكي، يحثهم فيها على التدخل لدى الرئيس المصري حسني مبارك، لإيقاف "مثل هذه الأعمال الإرهابية من قوات الأمن المصرية". وقالت إنه سيتم عقد لجنة سماع في الكونجرس عن الأحداث القائمة في مصر قريباً.[1]

[1] – انظر: موقع العربية نت "www.alarabiya.net".

المراجع

- القرآن الكريم.

- كتب التفسير:

1. أحكام القرآن / الجصاص / ج 2/ ص 327/ ط دار الكتاب العربي بيروت/ بدون .
2. تفسير القرآن العظيم / الإمام ابن كثير / ط دار الفكر / 1401 هـ.
3. جامع البيان عن تأويل القرآن / ابن جرير/ ط دار الفكر بيوت / ط 1405 هـ
4. الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / ط دار الشعب / الطبعة الثانية 1372 هـ .
5. في ظلال القرآن / سيد قطب / ط دار الشروق / الطبعة التاسعة 1980م .

- كتب الحديث:

6. صحيح البخاري .
7. صحيح مسلم .
8. سنن أبي داوود .
9. سنن النسائي .
10. سنن ابن ماجه .
11. موطأ مالك .
12. مسند أحمد.
13. مجمع الزوائد .
14. السلسلة الصحيحة / الألباني .
15. صحيح الجامع الصغير / الألباني .
16. صحيح سنن الترمذي / الألباني .
17. صحيح سنن أبي داود / الألباني .
18. ضعيف الجامع الصغير / الألباني .
19. الموسوعة الحديثية/تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤط وأخرون/ طبعة مؤسسة الرسالة/ ط الثانية 1999م.

- المعاجم:

20. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي/ ط دار إحياء التراث العربي .
21. معجم البلدان / ياقوت الحموي / ط دار الفكر بيروت / بدون.

* كتب ومراجع عامة:

22. أحكام أهل الذمة / ابن القيم / ط دار العلم للملايين / ط الأولى 1961م .
23. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام / د : عبد الكريم زيدان / ط الثانية 1976م .
24. الإسلام والسياسة الرد على شبهات العلمانيين/ محمد عمارة/ دار الرشاد القاهرة/ط 1997م.
25. الإسلام والنصرانية مع المدنية والعلم/ محمد عبده/ الحداثة للطباعة والنشر/ ط3، 1988م.
26. الأموال/حميد بن زنجويه.ت: د.شاكر ذيب فياض/ مركز الملك فيصل للبحوث/ 1986م.
27. الأموال/أبي عبيد القاسم بن سلام/ تحقيق: د: محمد عمارة/ ط دار الشروق/ ط 1989م.
28. بدائع الصنائع/ الكاساني / ط دار الكتاب العربي لبنان / الطبعة الثانية / ط 1974 م .
29. البداية والنهاية / ابن كثير / ط مكتبة المعارف بيروت / بدون تاريخ .
30. تاريخ الأمم والملوك / الطبري / ط دار الكتب العلمية بيروت / ط اولألى 1407 هـ .
31. ترتيب المدارك / القاضي عياض/ ط دار الحياة ببيروت .
32. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام / الشيخ محمد الغزالي / ط : دار البيان الكويت .
33. حاشية رد المحتار/ ط دار إحياء التراث العربي بيروت/ بدون .
34. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر / آدم متز .
35. الحق المر/محمد الغزالي /طبعة دار الشروق/ الطبعة الأولى 1989م.
36. حلية الأولياء / أبو نعيم / ط دار الكتاب العربي بيروت / ط الرابعة 1405 هـ .
37. الدعوة إلى الإسلام/ سير توماس أرنولد/ ترجمة د إبراهيم حسن وآخرون/ط3/ م النهضة.
38. الرحيق المختوم / الشيخ صفي الدين المباركفوري / ط دار الفكر / ط الأولى 1991م .
39. زاد المعاد / الإمام ابن القيم / مؤسسة الرسالة / ط الثانية 1997م.
40. سيرة ابن هشام / ابن هشام .
41. شرح السير الكبير/ طبعة الجامعة/ بدون.
42. الطبقات الكبرى / ابن سعد / طبعة دار صادر بيروت / بدون .
43. عجائب الآثار في التراجم والأخبار/ الجبرتي/ تحقيق حسن محمد جوهر وآخرون/ 1965.
44. عيون الأنباء في طبقات الأطباء / ابن أبي أصيبعه / ط دار مكتبة الحياة بيروت.
45. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي/ د يوسف القرضاوي/ م الرسالة / ط4 ، 1985م.
46. فتاوى معاصرة/ د. القرضاوي / ج 3 / ص 169/ دار القلم الكويت / ط الثالثة 2001م.
47. فتوح البلدان / البلاذري / ط دار الكتب العلمية بيروت / ط 1403 هـ .
48. فقه السنة / سيد سابق/ ط دار الفكر/ ط 1992م.

49. فقه الزكاة / د يوسف القرضاوي / طبعة مكتبة وهبة/ ط الحادية والعشرون / ط 1994 م .
50. في المسألة القبطية/ د. محمد عمارة / طبعة مكتبة الشروق القاهرة / 2001 م .
51. الفروق/ القرافي/ دار المعرفة بيروت/ بدون.
52. قصة الحضارة/ ول ديورانت.
53. الكامل / محمد بن محمد الشيباني / ط دار الكتب العلمية بيروت/ ط 1995م.
54. مجموع الفتاوى / ابن تيمية/ بدون .
55. من روائع حضارتنا / د: مصطفى السباعي/ طبعة دار القلم الكويت/ الطبعة الثالثة 1982م.
56. موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى/ د. القرضاوي / مكتبة وهبة / 1999 م .
57. المبسوط / السرخسي / ط دار إحياء التراث العربي بيروت/ ط الأولى 2002 م .
58. المحلى / ابن حزم / ط دار الأفاق الجديدة بيروت/ بدون.
59. المسيحية عبر تاريخها في المشرق/ تحرير: حبيب بدر وسعاد سليم وآخر/ مجلس كنائس الشرق الأوسط/ بيروت لبنان/ الطبعة الأولى 2001م.
60. المغني / ابن قدامة/ طبعة هجر/ الطبعة الأولى 1979م .
61. الملل والنحل والعراق. هموم الأقليات في العالم العربي/ سعد الدين إبراهيم/ ط 1990م.
62. المنهاج مع الحاشية / محمد بن أحمد الشربيني الخطيب / طبعة دار الكتب العلمية.
63. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي / طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة .
64. هذا الدين / الشهيد سيد قطب / دار الشروق / ط 1978م.
65. يا أقباط مصر انتبهوا/ محمد مورو / ط دار المختار الإسلامي/ ط 1998م.

- **الحوليات والدوريات:**

66. السياسة الأموية تجاه أهل الذمة ومؤسساتهم في بلاد الشام / مروان القدومي / بحث في مجلة الدعوة الإسلامية الليبية / عدد 5 .

- **الصحف والمجلات:**

67. الأهرام المصرية 9 / 3 / 2003 م ، وتاريخ 1 / 4 / 2003. وتاريخ 3/6 / 1985م.
68. صحيفة الوفد القاهرية عدد 21/ 1993/1م.

- **المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت:**

69. موقع العربية نت " www.alarabiya.net ".

الفهرس